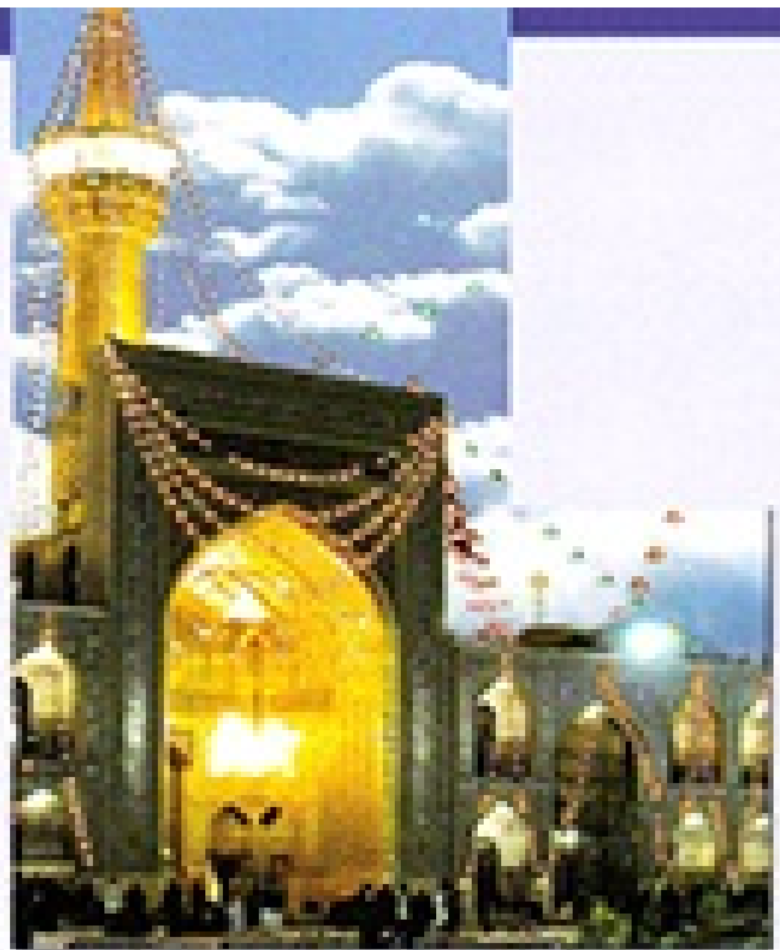


السيد محمد تقي المدرسي

الإمام الرضا

قدوة وأسوة

بسم الله الرحمن الرحیم

الامام الرضا علیه السلام، قدوه و اسوه

کاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعة:

مکتب العلامه المدرسی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الامام الرضا علیه السلام، قدوه و اسوه

اشاره

سرشناسه : مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور : الامام الرضا علیه السلام، قدوه و اسوه/ المولف محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر : مکتب العلامه المدرسی، ۱۴۱۰ق. = ۱۳۶۸.

مشخصات ظاهری : ص ۷۲

شابک : بها:۳۵۰ریال

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس

موضوع : علی بن موسی(ع)، امام هشتم، ۲۰۳ - ۱۵۳ق. -- سرگذشتنامه

رده بندی کنگره : BP۴۷/م۴الف ۸

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۷

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۰-۶۰۳۳

ص: ۱

اشاره

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
(٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧)

ص: ٥

اشاره

الحمد لله رب العالمين وسلام الله على الأنبياء والمرسلين والملائكه والصالحين.

وصلى الله على سيد الخلق أجمعين المهيمن على رسالات الله خاتم النبيين محمد وعلى آله الهداه الميامين.

وبعد ..

إن حياه المعصومين الأربعه عشر كانت زاهره بالحب والمعرفه والعبر والبصائر، إلَّا أن ما بلغنا من ضياء بعضهم كان أكثر من البعض الآخر، والإمام الرضا عليه السلام من أولئك الذين تسنَّت لنا فرصه الاهتداء إلى المزيد من فضائلهم، ولأنهم عند الله نور واحد، فليس علينا إلَّا الاستضاءه بسيرته عليه السلام لمعرفه سيره سائر المعصومين من آبائه عليهم السلام.

وأظن أن حياه الإمام الرضا عليه السلام كانت فاتحه مرحله جديده من حياه الشيعه حيث خرجت بصائرهم وأفكارهم من مرحله الكتمان إلى الظهور والإعلان، ولم يعد الشيعه من بعد ذلك العهد طائفه معارضه فى مناطق خاصه، بل أصبحوا ظاهرين فى كل البلاد، ولقب الرضا الذى أطلق على الإمام على بن موسى عليه السلام يدل- فيما يدل- على أنه

كان إماماً رضى به الموافق والمخالف.

وها نحن نتبرك بالحديث عنه، سائلين الرب أن يرزقنا معرفته واتِّباعه وشفاعته وشفاعه جده المصطفى صلى الله عليه واله.

الفصل الأول: وَجَاءَ المولُودُ المَيمُونُ

ص: ١٠

یـذکر الرواه أن أم الإمام موسـی بن جعفر علیه السـلام حمیـده المصـفاه کانت من أشـراف العجم، فاشترت جاریه قد ولدت فی البلاد العربیه وتربَّت فیها، فلما اختبرتها ووجـدتها من أفضل الناس فی دینها وعقلها، اختارتها لولدها الإمام موسـی بن جعفر علیه السلام، وقالت له:

«یَا بُنَیَّ إِنَّ تُکْتَمَ (وهذا أحد أسـمائها) جَارِیَهٌ مَا رَأَیْتُ جَارِیَهً قَطُّ أَفْضَلَ مِنْهَا، وَلَسْتُ أَشُکُّ أَنَّ اللهَ تَعَالَی سَیُطَهِّرُ نَسْلَهَا إِنْ کَانَ لَهَا نَسْلٌ، وَقَدْ وَهَبْتُهَا، لَکَ فَاسْتَوْصِ بِهَا خَیْراً».

وذکروا من فضلها:

أنهـا لَمَّا وَلَـدَتْ لَهُ الرِّضَـا علیه السـلام سَـمَّاهَا الطَّاهِرَهَ، فَکَـانَ الرِّضَـا علیه السـلام یَرْتَضِعُ کَثِیراً وَکَـانَ تَامَّ الْخَلْقِ، فَقَالَتْ: أَعِینُونِی بِمُرْضِعَهٍ، فَقِیلَ لَهَا: أَنَقَصَ الدَّرُّ؟ فَقَالَتْ: لَا أَکْذِبُ، وَاللهِ مَا نَقَصَ، وَلَکِنْ عَلَیَّ وِرْدٌ مِنْ صَلَاتِی وَتَسْبِیحِی وَقَدْ نَقَصَ مُنْذُ وَلَدْتُ (۱)

. وقـد ذکر المؤرخون أسـماء عدیـده لوالده الإمام، لأنها جاریه فکانت تسـمی عند کل مولاه باسم جدید. فمن أسـمائها: نجمه، وأروی، وسکن، وسمان، وتکتم، وطاهره. إلَّا أن أشهر الأسماء هو تکتم، وبعد ولادتها سُمِّیت طاهره، وأم البنین.

وفی سنه مائه وثمان وأربعین من الهجره فی الیوم الحادی عشر من

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۵.

شهر ذی القعده الحرام (۱) وُلِدَ الإمام علیه السلام، وعمَّ بیت الرساله سرور وبهجه.

تقول أمه (تکتم الطاهره): «لَمَّا حَمَلْتُ بِابْنِی عَلِیٍّ لَمْ أَشْعَرْ بِثِقْلِ الْحَمْلِ، وَکُنْتُ أَسْمَعُ فِی مَنَامِی تَسْبِیحاً وَتَهْلِیلًا وَتَمْجِیداً مِنْ بَطْنِی فَیُفْزِعُنِی ذَلِکَ وَیَهُولُنِی، فَإِذَا انْتَبَهْتُ لَمْ أَسْمَعْ شَیْئاً، فَلَمَّا وَضَعْتُهُ وَقَعَ عَلَی الْأَرْضِ وَاضِعاً یَدَهُ عَلَی الْأَرْضِ رَافِعاً رَأْسَهُ إِلَی السَّمَاءِ یُحَرِّکُ شَفَتَیْهِ کَأَنَّهُ یَتَکَلَّمُ، فَدَخَلَ إِلَیَّ أَبُوهُ مُوسَی بْنُ جَعْفَرٍ علیه السلام فَقَالَ لِی: هَنِیئاً لَکِ یَا نَجْمَهُ کَرَامَهُ رَبِّکِ، فَنَاوَلْتُهُ إِیَّاهُ فِی خِرْقَهٍ بَیْضَاءَ فَأَذَّنَ فِی أُذُنِهِ الْیُمْنَی وَأَقَامَ فِی الْیُسْرَی، وَدَعَا بِمَاءِ الْفُرَاتِ فَحَنَّکَهُ بِهِ ثُمَّ رَدَّهُ إِلَیَّ وَقَالَ: خُذِیهِ فَإِنَّهُ بَقِیَّهُ اللهِ تَعَالَی فِی أَرْضِه» (۲)

. وکان الإمام موسی بن جعفر علیه السلام قد منحه لقب (الرضا) منذ نعومه أظفاره، کما أنه أعطاه کنیه أبی الحسن، فکان کثیر الحب له. هکذا یروی المفضل بن عمر یقول:

دَخَلْتُ عَلَی أَبِی الْحَسَنِ مُوسَی بْنِ جَعْفَرٍ علیه السلام وَعَلِیٌّ ابْنُهُ علیه السلام فِی حَجْرِهِ وَهُوَ یُقَبِّلُهُ وَیَمَصُّ لِسَانَهُ، وَیَضَعُهُ عَلَی عَاتِقِهِ وَیَضُمُّهُ إِلَیْهِ وَیَقُولُ: «بِأَبِی أَنْتَ مَا أَطْیَبَ رِیحَکَ وَأَطْهَرَ خَلْقَکَ وَأَبْیَنَ فَضْلَکَ!» قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاکَ! لَقَدْ وَقَعَ فِی قَلْبِی لِهَذَا الْغُلَامِ مِنَ الْمَوَدَّهِ مَا لَمْ یَقَعْ لِأَحَدٍ إِلَّا لَکَ، فَقَالَ لِی: «یَا مُفَضَّلُ! هُوَ مِنِّی بِمَنْزِلَتِی مِنْ أَبِی علیه السلام

ذُرِّیَّهً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۳)».

۱- (۱) وقیل: بل ولد فی الحادی عشر من ذی الحجه. انظر: بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲- ۳.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹.

۳- (۳) سوره آل عمران، الآیه ۳۴.

قَالَ: قُلْتُ هُوَصَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ أَطَاعَهُ رَشَدَ وَمَنْ عَصَاهُ كَفرَ» (۱)

. وهكذا ترعرع الوليد فى ظل والده يُزكّيه بآداب الإمامه ويعلّمه أسرارها ويُطلعه على ودائع النبوه.

وكان الإمام موسى بن جعفر يقول- حسبما جاء فى حديث-:

«عَلِيٌّ ابْنِى أَكْبَرُ وُلْدِى، وَأَسْمَعُهُمْ لِقَوْلِى، وَأَطْوَعُهُمْ لِأَمْرِى، يَنْظُرُ مَعِى فِى كِتَابِ الجَفْرِ وَالجَامِعَهِ وَلَيْسَ يَنْظُرُ فِيهِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ وَصِىُّ نَبِيٍّ» (۲)

. وخلال سنى حياته مع والده تولى- فيما يبدو لى- إداره بعض شؤون الطائفه نيابةً عن والده، ولعل الحديث التالى يدل على ذلك. يقول زِيَادِ بْنِ مَرْوَانَ الْقَنْدِيِّ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِى إِبْرَاهِيم (الإمام موسيبن جعفر عليه السلام) وَعِنْدَهُ عَلِيٌّ ابْنُهُ فَقَالَ لِى:

«يَا زِيَادُ هَذَا كِتَابُهُ كِتَابِى، وَكَلَامُهُ كَلَامِى، وَرَسُولُهُ رَسُولِى، وَمَا قَالَ فَالْقَوْلُ قَوْلُه» (۳)

. وقد أكثر الإمام موسى بن جعفر عليه السلام من بيان فضائل ابنه الرضا عليه السلام وأنه خليفته والإمام من بعده مما يثير السؤال عن حكمه ذلك، ولعل من الأسباب التى تهدينا إلى تلك الحكمه:

أن الظروف السياسيه كانت قاسيه جدًّا؛ حيث التقيّه فى أشدها، وأهل البيت مطاردون، وهارون الرشيد كان يلاحق أصحاب أهل البيت عليهم السلام وأنصارهم من بلد إلى بلد، ويقتلهم زرافاتٍ ووحداناً.

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۱.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۰.

۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۹.

والإمام موسى بن جعفر يتنقل بأمره من سجن لآخر، فكانت إمكانيه تفرُّق كلمه الشيعه بعد وفاته تجعل من الحكمه التأكيد على ولايه الإمام الرضا عليه السلام.

والأصحاب بدورهم كانوا يتوجّسون خِيْفةً من اختفاء الإمام فجأه دون معرفه الإمام من بعده، يظهر ذلك كله من بعض الأحاديث التاليه:

رُوِىَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ سَلِيطٍ الزَّيْدِيِّ قَالَ: لَقِيتُ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِى عَنِ الْإِمَامِ بَعْدَكَ بِمِثْلِ مَا أَخْبَرَ بِهِ أَبُوكَ، قَالَ: فَقَالَ: «كَانَ أَبِى فِى زَمَنٍ لَيْسَ هَذَا مِثْلَهُ».

قَالَ يَزِيدُ: فَقُلْتُ: مَنْ يَرْضَ مِنْكَ بِهَذَا فَعَلَيْهِ لَعْنَهُ اللهِ. قَالَ: فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ: «أُخْبِرُكَ يَا أَبَا عُمَارَهَ! أَنِّى خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِى فَأَوْصَيْتُ فِى الظَّاهِرِ إِلَى بَنِىَّ وَأَشْرَكْتُهُمْ مَعَ عَلِيٍّ ابْنِى وَأَفْرَدْتُهُ بِوَصِيَّتِى فِى الْبَاطِنِ» (۱)

. ويروى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْهَاشِمِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ الْقَبْرِ (أى قبر رسول الله صلى الله عليه واله) نَحْوَ سِتِّينَ رَجُلًا مِنَّا وَمِنْ مَوَالِينَا، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام وَيَدُ عَلِيٍّ ابْنِهِ عليه السلام فِى يَدِهِ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَنْ أَنَا»؟

قُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا وَكَبِيرُنَا، قَالَ: «سَمُّونِى وَانْسُبُونِى».

فَقُلْنَا: أَنْتَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا مَعِى»؟

قُلْنَا: هُوَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: «فَاشْهَدُوا أَنَّهُ وَكِيلِى فِى حَيَاتِى وَوَصِيِّى بَعْدَ مَوْتِى» (۲)

. وقد اتخذ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كافه وسائل الاحتياط

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۱.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۵.

لبیان إمامه الإمام الرضا. فمثلًا: «کَتَبَ لَهُ کِتَاباً أَشْهَدَ فِیهِ سِتِّینَ رَجُلًا مِنْ وُجُوهِ أَهْلِ المَدِینَه» (۱)

. وکان یُرجع الأمور إلیه فی حیاته کما فعل عندما أشخص به إلی البصره، حیث دفع إلی عبد الله بن وحوم کتباً وأمره بإیصالها إلی نجله الرضا فی المدینه (۲).

وکتب فی البصره ألواحاً وبعثها إلی شیعته هناک، وقد کتب فیها: «عَهْدِی إِلَی أَکْبَرِ وُلْدِی» (۳).

وکان یأخذ بعض الحقوق التی تُجبی إلیه ویُبقی بعضها لیعطیه إلی وصیه الذی یطالبه بها لیکون علامه ظاهره، کما فعل بداود بن زربی (۴).

وذلک بعکس الظروف السیاسیه الصعبه التی کان یعیشها الإمام فی حیاه والده والتی احتاط الإمام موسی بن جعفر علیه السلام فیها لتبقی الإمامه بعیده عن الشکوک.

ویظهر ذلک بوضوح من وصیهٍ لنجله بأن یسکت مادام الرشید حیًّا فإذا هلک نطق بالحق.

ومن جهه أخری فی مثل هذه الظروف الصعبه التی کان الشیعه یعیشونها علی عهد طاغیه بغداد هارون الرشید، کان من الممکن أن تنتشر الخرافات التی لها سوق رائجه عند اشتداد الأزمات. ولعل بعض التیارات السیاسیه کانت وراء نشر مثل تلک الخرافات لأهداف معینه.

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۷.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۶.

۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۹.

۴- (۴) یبدو من بعض الأحادیث أن هذا الرجل کان یعیش حاله التقیه مما یجعل هذا الإجراء مناسباً لحاله.

فدرءاً لمثلها قام الإمام الكاظم ببيان إمامه ابنه الرضا بذلك الوضوح.

وبالرغم من أن فكره غياب الإمام الكاظم انتشرت ردحاً من الزمان وغـذتها أيـدٍ خائنه وأخرى جاهله، فقالوا: إن الإمام لم يمت، وإنه مهدى هذه الأمه. ووقفوا عند الإمام السابع فسمّوا (الواقفيه).

إلّا أنها لم تلبث أن زالت. ويبـدو أن أحـد أهم أسـباب ذلك، تأكيـد الإمام عليه السـلام فى تعريف الشـيعه بأن وصـيَّه هو الإمام الرضا عليه السلام.

خلقه وفضائله:

كـان الإمـام الرضـا عليـه السـلام بمثـابه قرآن نـاطق، فخُلُقـه من القرآن، وعلمه ومكرمـاته من القرآن، أَوَليس القرآن هـو آيه الله العظمى فى خلقه، أَوَلم يُيَسِّره ربنا لمن شاء من عباده أن يستقيم عليه؟ أوَيكون ذلك غريباً أن يصبح من تَمَثَّل القرآن فى حياته آيه عظمى لرب العالمين.

والنبى صلى الله عليه واله كان أفضل وأعظم ميزاته، أنه عبد يُوحى إليه، وحين سُئل بعضهم عن خُلُقه العظيم قال:

«كَانَ القُرْآنُ خُلُقَهُ ..» (۱)

. وأعظم ميزات الإمام على عليه السلام أن الله قد جعل أُذُنَهُ واعيه للقرآن.

وقـد ذَكَّرَنَا الرسولُ بأنه يُخلِّف بعده الثقلين: كتاب الله وعترته أهل بيته، ثم بيّن أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض. أوَلا يعنى ذلك أن أهل بيت الرساله عليهم السلام كانوا مشكاه نور القرآن ومعدن خيرات الوحى ومستقر علم الله؟.

وكان الإمام الرضا عليه السلام قد تمثَّل هذا النور- بكل وجوده- حتى

۱- (۱) شرح نهج البلاغه، ج ۶، ص ۳۴۰.

جاء فی الحدیث: عَنْ أَبِی ذَکْوَانَ قَالَ سَمِعْتُ إِبْرَاهِیمَ بْنَ الْعَبَّاسِ یَقُولُ:

مَا رَأَیْتُ الرِّضَا علیه السلام سُئِلَ عَنْ شَیْ ءٍ قَطُّ إِلَّا عَلِمَهُ، وَلَا رَأَیْتُ أَعْلَمَ مِنْهُ بِمَا کَانَ فِی الزَّمَانِ إِلَی وَقْتِهِ وَعَصْرِهِ، وَکَانَ الْمَأْمُونُ یَمْتَحِنُهُ بِالسُّؤَالِ عَنْ کُلِّ شَیْ ءٍ فَیُجِیبُ فِیهِ، وَکَانَ کَلَامُهُ کُلُّهُ وَجَوَابُهُ وَتَمَثُّلُهُ انْتِزَاعَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَکَانَ یَخْتِمُهُ فِی کُلِّ ثَلَاثٍ وَیَقُولُ: «لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَخْتِمَهُ فِی أَقْرَبَ مِنْ ثَلَاثٍ لَخَتَمْتُ، وَلَکِنِّی مَا مَرَرْتُ بِآیَهٍ قَطُّ إِلَّا فَکَّرْتُ فِیهَا وَفِی أَیِّ شَیْ ءٍ أُنْزِلَتْ وَفِی أَیِّ وَقْتٍ، فَلِذَلِکَ صِرْتُ أَخْتِمُ فِی کُلِّ ثَلَاثَهِ أَیَّامٍ» (۱)

. ولکن دعنا نعرف کیف تمثَّل إمامنا الرضا علیه السلام القرآن بهذه الدرجه، أَوَیُمکننا أن نتبعه فی ذلک؟

القرآن کتاب الله ومن لا یتصل قلبه بنور الله لا یعرف کتابه، أَوَلَمْ یقل ربنا سبحانه: وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِینَ وَلا یَزِیدُ الظَّالِمِینَ إِلَّا خَسَاراً (۲).

وبدرجه الإیمان، وبمستوی الیقین، وبقدر تجلی عظمه الرب فی القلب یستضی ء الإنسان بنور الله الذی تجلَّی به فی کتابه.

والإمام الرضا علیه السلام عظَّم الله ووقَّره، وسلَّم له أمره، واستصغر کل شی ء سواه، واستعد لکل بلاء فی سبیله، وکان کل ذلک وسیلته إلی ربه.

دعنا نلتمس بعض الشواهد علی ما قلنا لا لنزداد بالإمام معرفه فقط، بل لکی تخشع قلوبنا أیضاً بهذه السیره التی تفیض روحاً إلهیًّا وضیاءً.

کان من عبادته علیه السلام أنه إذا صلّی الفجر فی أول وقتها یسجد

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹۰.

۲- (۲) سوره الإسراء، الآیه: ۸۲.

لربه فلا يرفع رأسه الى أن ترتفع الشمس (١).

وعندما كلّف المأمون العباسی وإليه على المدينه بمرافقه الإمام إلى خراسان، سأله- بعد مقدمه إليها- عن أحواله فى الطريق، ففصّل الحديث عن درجات عبادته وذكره وتبتله، فلما قصَّ عليه ذلك أمره بأن يكتم عن الناس ذلك. وكان مما نقله:

كَانَ إِذَا أَصْبَحَ صَلَّى الْغَدَاهَ، فَإِذَا سَلَّمَ جَلَسَ فِی مُصَلَّاهُ يُسَبِّحُ اللهَ وَيُحَمِّدُهُ وَيُكَبِّرُهُ وَيُهَلِّلُهُ وَيُصَلِّی عَلَی النَّبِیِّ وَآلِهِ صلى الله عليه واله حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَهً يَبْقَی فِيهَا حَتَّى يَتَعَالَی النَّهَارُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَی النَّاسِ يُحَدِّثُهُمْ وَيَعِظُهُمْ إِلَی قُرْبِ الزَّوَالِ، ثُمَّ جَدَّدَ وُضُوءَهُ وَعَادَ إِلَی مُصَلَّاهُ ..

وبعد أن يذكر كيفيه صلاته وسجداته ونوافله إلى وقت العصر مما هو معروف فى الفقه، يقول: أَقَامَ وَصَلَّی الْعَصْرَ، فَإِذَا سَلَّمَ جَلَسَ فِی مُصَلَّاهُ يُسَبِّحُ اللهَ وَيُحَمِّدُهُ وَيُكَبِّرُهُ وَيُهَلِّلُهُ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَهً يَقُولُ فِيهَا مِائَهَ مَرَّهٍ «حَمْداً لله».

ثم يذكر كيف كان يُصلِّی بعد غروب الشمس ويسبّح ربه حتى يمضی قريب من ثلث الليل ثم يأوی إلى فراشه، فإذا كان الثلث الأخير من الليل قام من فراشه لنافله الليل، واستمر على ذلك حتى يطلع الفجر، ثم يجلس للتعقيب حتى تطلع الشمس، ويسجد حتى يتعالى النهار.

ويضيف: وَكَانَ يُكْثِرُ بِاللَّيْلِ فِی فِرَاشِهِ مِنْ تِلَاوَهِ الْقُرْآنِ، فَإِذَا مَرَّ بِآيَهٍ فِيهَا ذِكْرُ جَنَّهٍ أَوْ نَارٍ بَكَی وَسَأَلَ اللهَ الْجَنَّهَ وَتَعَوَّذَ بِهِ مِنَ النَّار» (٢)

. وكان الإمام يرى أن ما له من فضل إنما هو بالتقوى وليس فقط

ص: ١٨

١- (١) بحار الأنوار، ج ۴٩، ص ٩٠.

٢- (٢) بحار الأنوار، ج ۴٩، ص ٩٢- ٩۴.

بالانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه واله بالولاده.

هَكَذَا الْبَيْهَقِيُّ، عَنِ الصَّوْلِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ نَصْرٍ الرَّازِيِّ قَال: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ لِلرِّضَا عليه السلام: وَاللهِ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَشْرَفُ مِنْكَ أَباً، فَقَالَ: «التَّقْوَى شَرَّفَتْهُمْ، وَطَاعَهُ اللهِ أَحْظَتْهُم».

فَقَالَ لَهُ آخَرُ: أَنْتَ وَاللهِ خَيْرُ النَّاسِ، فَقَالَ لَهُ: «لَا تَحْلِفْ يَا هَذَا! خَيْرٌ مِنِّي مَنْ كَانَ أَتْقَى لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَطْوَعَ لَهُ. وَاللهِ مَا نَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَهَ آيَهٌ

: وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (۱).

وهذا الحديث يُذَكِّرُنَا بما يُروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «وَلَايَتِي لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وِلَادَتِي مِنْهُ».

وهكذا أطاع الله بكل جوانب حياته، فأحبه الله ونوّر قلبه بضياء المعرفه وألهمه من العلوم ما ألهمه، وجعله حجه بالغه على خلقه. أَوَلَمْ نقرأ سوره (ص) كيف بيّن فيها ربنا مواهبه لعباده الصالحين، وأنه إنما آتاهم كل تلك المواهب لعبادتهم وإخلاصهم، فقال مثلًا:

اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (۲). وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَهَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (۳). إلى أن يقول: فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (۲۵) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَهً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (۴).

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹۵.

۲- (۲) سوره ص، الآيه: ۱۷.

۳- (۳) سوره ص، الآيه: ۲۰.

۴- (۴) سوره ص، الآيه: ۲۵- ۲۶.

وهكذا أناب الإمام الرضا عليه السلام إلى ربه فوهب الله له ما شاء من الكرامه والعلم.

لقد زهد فى الدنيا واستصغر شأنها، ورفض مغرياتها، فرفع الله الحجاب بينه وبين الحقائق؛ لأن حب الدنيا رأس كل خطيئه، وهو حجاب سميك بين الإنسان وبين حقائق الخلق.

يذكر البيهقى عن الصولى:

«كَانَ جُلُوسُ الرِّضَا عليه السلام فِى الصَّيْفِ عَلَى حَصِيرٍ وَفِى الشِّتَاءِ عَلَى مِسْحٍ، وَلُبْسُهُ الْغَلِيظَ مِنَ الثِّيَابِ، حَتَّى إِذَا بَرَزَ لِلنَّاسِ تَزَيَّنَ لَهُمْ» (۱)

. وكان ذلك عندما أقبلت الدنيا عليه فلم يقبلها، وتزيَّنت له فلم يغترّ بها. بل عندما كانت الخلافه العباسيه فى أوج عظمتها وبذخها وترفها وكان الإمام ولى عهد الخليفه فى الظاهر يومئذ عاف الدنيا وشهواتها. هكذا تروى جاريه اسمها عذر فتقول:

«اشْتُرِيتُ مَعَ عِدَّهِ جِوَارٍ مِنَ الْكُوفَهِ، وَكُنْتُ مِنْ مُوَلَّدَاتِهَا (كانت مولوده فى الكوفه)، قَالَتْ: فَحُمِلْنَا إِلَى المَأْمُونِ فَكُنَّا فِى دَارِهِ فِى جَنَّهٍ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالطِّيبِ وَكَثْرَهِ الدَّنَانِيرِ، فَوَهَبَنِى المَأْمُونُ لِلرِّضَا عليه السلام، فَلَمَّا صِرْتُ فِى دَارِهِ فَقَدْتُ جَمِيعَ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَكَانَتْ عَلَيْنَا قَيِّمَهٌ تُنَبِّهُنَا مِنَ اللَّيْلِ وَتَأْخُذُنَا بِالصَّلَاهِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَشَدِّ مَا عَلَيْنَا، فَكُنْتُ أَتَمَنَّى الْخُرُوجَ مِنْ دَارِه» (۲)

. وأعظم الزهد زهده فى الخلافه بالطريقه التى عرضها عليه المأمون العباسى، فإن من الناس من يزهد فى الدنيا طلباً لما هو أعظم من متاعها. ولا أعظم من الرئاسه فى أعين الإنسان.

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۸۹.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۸۹.

يقول الفضل بن سهل الذى شهد حوار المأمون مع الإمام الرضا فى شأن الخلافه: ما رأيت الملك ذليلًا مثل ذلك اليوم.

يقول المأمون العباسى فيما رُوى منه:

«فَجَهَدْتُ الْجُهْدَ كُلَّهُ وَأَطْمَعْتُهُ فِى الْخِلَافَهِ وَمَا سِوَاهَا فَمَا أَطْمَعَنِى فِى نَفْسِهِ» (۱)

. السبيل إلى اللّٰه:

ومن يُعظِّم الله يُعظِّم أوليـاءه، ومن يرفض توقير أولياء الله يفقـد السبيل الى الله. والإمام الرضا عليه السـلام سـلك هـذا السبيل إلى ربه. ولعمرى إن الشـيطان يُزَيِّن للإنسـان مخـالفه أوليـاء الله والتكبر عليهم حتى يُضـله عن سبيـل الله القويم، ويُلقيه فى تيه السـبل المتفرقه.

وكلما ازداد الإنسان تسليماً لقيادته الشرعيه، وحبًّا لولى أمره، ولأولياء الله من الأنبياء والأوصياء والصالحين، يزداد من ربه قرباً.

والإمام الرضا عليه السـلام كان- كما سائر الأئمه عليهم السلام- أطوع الناس لولى أمره الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فجعله الله حجه من بعده.

يقول الإمام الكاظم:

«عَلِيٌّ ابْنِى أَكْبَرُ وُلْدِى وَأَسْمَعُهُمْ لِقَوْلِى وَأَطْوَعُهُمْ لِأَمْرِى» (۲)

. وقال:

«عَلِيٌّ أَكْبَرُ وُلْدِى وَأَبَرُّهُمْ عِنْدِى وَأَحَبُّهُم» (۳)

. إن بين الإنسان وأولياء الله حجاب من الغرور والكبر، فمن

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۴۵.
۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۴۵. وسيأتى الحديث إن شاء الله مفصلًا حول ما جرى بينه عليه السلام وبين المأمون.
۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۴.

خالف هواه وتحدّی غروره وحارب کبر نفسه، یخرق هذا الحجاب، فیدخل فی حزب الله وینتمی إلی أولیائه ویستقر فی مقامه عند الله. لذلک أکّد القرآن علی الکافرین قولهم: أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِی ضَلالٍ وَسُعُرٍ (۱).

وقد جاء فی حدیث روی عَنِ ابْنِ أَبِی کَثِیرٍ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّیَ مُوسَی علیه السلام وَقَفَ النَّاسُ فِی أَمْرِهِ، فَحَجَجْتُ فِی تِلْکَ السَّنَهِ فَإِذَا أَنَا بِالرِّضَا علیه السلام، فَأَضْمَرْتُ فِی قَلْبِی أَمْراً فَقُلْتُ: أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ الْآیَهَ، فَمَرَّ علیه السلام کَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ عَلَیَّ، فَقَالَ:

«أَنَا وَاللهِ الْبَشَرُ الَّذِی یَجِبُ عَلَیْکَ أَنْ تَتَّبِعَنِی»، فَقُلْتُ: مَعْذِرَهً إِلَی اللهِ وَإِلَیْکَ فَقَالَ: «مَغْفُورٌ لَکَ» (۲)

. الشجره الطیبه:

کان الرضا علیه السلام من الشجره الطیبه التی أکرمها الله، وبارک لأمه محمد فیها، وقال سبحانه: ذُرِّیَّهً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۳).

ولقد اختار الله یحیی بن زکریا علیهما السلامللنبوه وآتاه الحکم صبیًّا، بحکمته البالغه وإکراماً لوالده زکریا علیه السلام.

واختار مریم علیها السلام صدیقه حینما نذرت امرأه عمران ما فی بطنها محرراً لله.

واختار عیسی ابن مریم علیهما السلام کرامه لوالدته الصدیقه فتکلم فی

۱- (۱) سوره القمر، الآیه: ۲۴.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۳۸.

۳- (۳) سوره آل عمران، الآیه: ۳۴.

المهد قائلًا: إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتَانِی الْکِتَابَ (۱).

فلماذا نستغرب حینما یَخْتَارُ من أهل بیت محمد صلی الله علیه واله اثنی عشر نقیباً، أئمهً هداهً میامین، بحکمته البالغه وکرامه لأقرب الناس إلی الله سید المرسلین محمد صلی الله علیه واله.

الخلق الکریم:

وقد فاضت من هذه النفس الکریمه تلک الأخلاق الحسنه التی تُحَدِّثُنَا بها کتب التاریخ، أَوَلَیس الطیب دلیل الزهره، والشعاع دلیل الضیاء؟ وهل الإیمان إلَّا الحب، وهل دلیل الحب غیر تلک الأخلاق الحسنه؟

کان علیه السلام فی قمه التواضع وحسن المعاشره مع الناس هکذا ینقل إِبْرَاهِیمَ بْنِ الْعَبَّاسِ، قَالَ: «مَا رَأَیْتُ الرِّضَا علیه السلام جَفَا أَحَداً بِکَلِمَهٍ قَطُّ، وَلَا رَأَیْتُهُ قَطَعَ عَلَی أَحَدٍ کَلَامَهُ حَتَّی یَفْرُغَ مِنْهُ، وَمَا رَدَّ أَحَداً عَنْ حَاجَهٍ یَقْدِرُ عَلَیْهَا، وَلَا مَدَّ رِجْلَهُ بَیْنَ یَدَیْ جَلِیسٍ لَهُ قَطُّ، وَلَا اتَّکَأَ بَیْنَ یَدَیْ جَلِیسٍ لَهُ قَطُّ، وَلَا رَأَیْتُهُ شَتَمَ أَحَداً مِنْ مَوَالِیهِ وَمَمَالِیکِهِ قَطُّ، وَلَا رَأَیْتُهُ تَفَلَ قَطُّ، وَلَا رَأَیْتُهُ تَقَهْقَهَ فِی ضَحِکِهِ قَطُّ بَلْ کَانَ ضَحِکُهُ التَّبَسُّم.

وَکَانَ إِذَا خَلَا وَنُصِبَتْ مَائِدَتُهُ أَجْلَسَ مَعَهُ عَلَی مَائِدَتِهِ مَمَالِیکَهُ حَتَّی الْبَوَّابِ وَالسَّائِسِ. وَکَانَ علیه السلام قَلِیلَ النَّوْمِ بِاللَّیْلِ کَثِیرَ السَّهَرِ، یُحْیِی أَکْثَرَ لَیَالِیهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَی الصُّبْحِ. وَکَانَ کَثِیرَ الصِّیَامِ فَلَا یَفُوتُهُ صِیَامُ ثَلَاثَهِ أَیَّام فِی الشَّهْرِ، وَیَقُولُ ذَلِکَ صَوْمُ الدَّهْرِ. وَکَانَ علیه السلام کَثِیرَ المَعْرُوفِ وَالصَّدَقَهِ فِی السِّرِّ، وَأَکْثَرُ ذَلِکَ یَکُونُ مِنْهُ فِی اللَّیَالِی المُظْلِمَهِ.

۱- (۱) سوره مریم، الآیه: ۳۰.

فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ رَأَى مِثْلَهُ فِی فَضْلِهِ فَلَا تُصَدِّقُوه» (۱)

. وکان من تواضعه علیه السلام:

«أنه دَخَلَ الْحَمَّامَ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ النَّاسِ: دَلِّکْنِی، فَجَعَلَ یُدَلِّکُهُ، فَعَرَّفُوهُ فَجَعَلَ الرَّجُلُ یَسْتَعْذِرُ مِنْهُ، وَهُوَ یُطَیِّبُ قَلْبَهُ وَیُدَلِّکه ...» (۲)

. ویروی رجل من أهل بلخ رافق الإمام فی سفره إلی خراسان ویقول:

«دَعَا یَوْماً بِمَائِدَهٍ لَهُ فَجَمَعَ عَلَیْهَا مَوَالِیَهُ مِنَ السُّودَانِ وَغَیْرِهِمْ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاکَ! لَوْ عَزَلْتَ لِهَؤُلَاءِ مَائِدَهً، فَقَالَ: مَهْ، إِنَّ الرَّبَّ تَبَارَکَ وَتَعَالَی وَاحِدٌ، وَالْأُمَّ وَاحِدَهٌ، وَالْأَبَ وَاحِدٌ، وَالجَزَاءَ بِالْأَعْمَال» (۳)

. وکان یکره لغلمانه أن یقوموا له احتراماً عندما یکونون علی الطعام ویقول:

«إِنْ قُمْتُ عَلَی رُؤُوسِکُمْ وَأَنْتُمْ تَأْکُلُونَ فَلَا تَقُومُوا حتیَّ تفْرغُوا» (۴)

. وکان عظیم الحلم والعفو. ویذکر من حلمه أن قائداً من أتباع بنی العباس یسمی ب- (الجلودی) أمره هارون الرشید بأن یذهب إلی المدینه ویسلب نساء آل أبی طالب، ولا یدع علی کل واحده منهن إلَّا ثوباً واحداً، ففعل الرجل، مما أثار سخطاً عظیماً عند الإمام الرضا علیه السلام، ولکن بعد أن عُهِدَ إلی الإمام الرضا بولایه العهد عارض ذلک الجلودی ونقم من بیعه الإمام، فغضب علیه المأمون، وأخرجه یوماً لیقتله من بعد أن قتل اثنین قبله، فلما تمثل أمامه شفع له الإمام الرضا عند المأمون، وقال:

«یَا أَمِیرَ المُؤْمِنِینَ هَبْ لِی هَذَا الشَّیْخ».

ص: ۲۴

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹۱.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹۹.

۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۰۱.

۴- (۴) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۰۲.

فظن الجلودى أنه يُعين عليه، فأقسم على المأمون ألَّا يقبل قوله. فَقَالَ المَأْمُون: لا وَاللهِ لَا أَقْبَلُ فِيك، وأَمَرَ بضرِب عُنُقُهُ (۱)

. وكان سخياً كريماً.

وكان من آدابه فى الصدقات أنه إذا جلس للأكل أُتِىَ بِصَحْفَهٍ فَتُوضَعُ قُرْبَ مَائِدَتِهِ فَيَعْمِدُ إِلَى أَطْيَبِ الطَّعَامِ مِمَّا يُؤْتَى بِهِ فَيَأْخُذُ مِنْ كُلِّ شَىْ ءٍ شَيْئاً، فَيُوضَعُ فِى تِلْكَ الصَّحْفَهِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِهَا لِلْمَسَاكِينِ، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَه:

فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَهَ (۲)، ثُمَّ يَقُولُ:

«عَلِمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَقْدِرُ عَلَى عِتْقِ رَقَبَهٍ فَجَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى الجَنَّهِ بِإِطْعَامِ الطَّعَام (عبر الإطعام)» (۳)

. وَفَرَّقَ عليه السلام بِخُرَاسَانَ مَالَهُ كُلَّهُ فِى يَوْمِ عَرَفَه، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ: إِنَّ هَذَا لَمَغْرَمٌ، فَقَالَ عليه السلام:

«بَلْ هُوَ المَغْنَمُ، لَا تَعُدَّنَّ مَغْرَماً مَا ابْتَعْتَ بِهِ أَجْراً وَكَرَماً» (۴)

. وكان إذا أعطى أحداً سعى ألَّا يذهب بهاؤه ولا يُراق ماء وجهه. والقصه التاليه تعلمنا كيف نجعل صدقاتنا خالصه لوجه الله لا منّه فيها ولا استعلاء.

يروى الْيَسَع بْنِ حَمْزَه وَيَقُوْلُ: «كُنْتُ أَنَا فِى مَجْلِسِ أَبِى الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام أُحَدِّثُهُ، وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَام، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ طُوَالٌ آدِمٌ فَقَالَ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ، رَجُلٌ مِنْ مُحِبِّيكَ وَمُحِبِّى آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ عليهم السلام، مَصْدَرِى مِنَ الْحَجِّ وَقَدِ افْتَقَدْتُ

۱- (۱) فى رحاب أئمه أهل البيت، ص ۱۰۸ سيره الرضا.

۲- (۲) سوره البلد، الآيه: ۱۱.

۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹۷.

۴- (۴) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۰۰.

نَفَقَتِي وَمَا مَعِي مَا أَبْلُغُ بِهِ مَرْحَلَهً، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُنْهِضَنِي إِلَى بَلَدِي وَلِلّهِ عَلَيَّ نِعْمَهٌ، فَإِذَا بَلَغْتُ بَلَدِي تَصَدَّقْتُ بِالَّذِي تُولِينِي عَنْكَ فَلَسْتُ مَوْضِعَ صَدَقَهٍ، فَقَالَ لَهُ: «اجْلِسْ رَحِمَكَ اللّهُ»، وَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ يُحَدِّثُهُمْ حَتَّى تَفَرَّقُوا وَبَقِيَ هُوَ وَسُلَيْمَانُ الْجَعْفَرِيُّ وَخَيْثَمَهُ وَأَنَا، فَقَالَ: «أَتَأْذَنُونَ لِي فِي الدُّخُولِ؟» فَقَالَ لَهُ: سُلَيْمَانُ قَدَّمَ اللّهُ أَمْرَكَ، فَقَامَ فَدَخَلَ الْحُجْرَهَ وَبَقِيَ سَاعَهً ثُمَّ خَرَجَ وَرَدَّ الْبَابَ وَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ أَعْلَى الْبَابِ وَقَالَ: «أَيْنَ الْخُرَاسَانِيُّ؟» فَقَالَ: هَا أَنَا ذَا، فَقَالَ: «خُذْ هَذِهِ الْمِائَتَيْ دِينَارٍ وَاسْتَعِنْ بِهَا فِي مَؤُونَتِكَ وَنَفَقَتِكَ، وَتَبَرَّكْ بِهَا، وَلَا تَصَدَّقْ بِهَا عَنِّي، وَاخْرُجْ فَلَا أَرَاكَ وَلَا تَرَانِي».

ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ لَقَدْ أَجْزَلْتَ وَرَحِمْتَ، فَلِمَاذَا سَتَرْتَ وَجْهَكَ عَنْهُ؟ فَقَالَ:

«مَخَافَهَ أَنْ أَرَى ذُلَّ السُّؤَالِ فِي وَجْهِهِ لِقَضَائِي حَاجَتَهُ. أَمَا سَمِعْتَ حَدِيثَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه واله: «الْمُسْتَتِرُ بِالْحَسَنَهِ تَعْدِلُ سَبْعِينَ حِجَّهً، وَالْمُذِيعُ بِالسَّيِّئَهِ مَخْذُولٌ، وَالْمُسْتَتِرُ بِهَا مَغْفُورٌ لَهُ»، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الْأُوَلِ:

مَتَى آتِهِ يَوْماً لِأَطْلُبَ حَاجَهً رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي وَوَجْهِي بِمَائِهِ»

(۱)

وقد أعطى أبا نواس ثلاثمائه درهم لم يكن عنده سواها، وقدّم إليه بغلته التى كان يمتطيها. وحينما أعطى دعبل الخزاعى ستمائه دينار اعتذر إليه.

وكان كثير الصدقه فى السر، وأكثرها كان فى الليالى المظلمه (۲). وكان عليه السلام مكتمل الجسم عظيم الهيبه. وكأيّن من ذى حاجه دخل

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۰۱.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۱۰.

علیه لیطلبها منه فشغله جلاله وهیبته عنها فبادره الإمام بقضائها، وسنذکر جانباً من ذلک عن بیان علمه.

هکذا أفاض الإمام علمه:

أربعه من أئمه الهـدی تسـنَّی لهم نشـر معـارف الإسـلام فی الآفـاق. أولهم الإمـام أمیر المؤمنین وآخرهم الإمام الرضا والصادقان محمد بن علی وجعفر بن محمد علیهم السلام.

وبالرغم من أن جمیع أئمه الهدی نشروا العلم، إلَّا أن الظروف ساعدت هؤلاء الأربعه علی ذلک أکثر من الآخرین.

ولقـد سـبق الحـدیث- ببعض التفصـیل- عن علم الأئمه ومصادره المتنوعه فیما سـردته من حیاه الإمام الباقر علیه السـلام فنکتفی بذلک، وإنما نشیر إلی آفاق العلم التی تناولتها أحادیث الإمام الرضا علیه السلام. ونُقِلَ عن الیقطینی أنه قال:

«لَمَّا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِی أَمْرِ أَبِی الْحَسَنِ الرِّضَا علیه السـلام جَمَعْتُ مِنْ مَسَائِلِهِ مِمَّا سُـئِلَ عَنْهُ وَأَجَابَ عَنْهُ خَمْسَ عَشَـرَهَ أَلْفَ مَسْأَلَه» (۱).

ولقـد قال الإمام علیه السـلام مره: «کُنْتُ أَجْلِسُ فِی الرَّوْضَهِ وَالْعُلَمَاءُ بِالمَـدِینَهِ مُتَوَافِرُونَ، فَإِذَا أَعْیَا الْوَاحِـدُ مِنْهُمْ عَنْ مَسْأَلَهٍ أَشَارُوا إِلَیَّ بِأَجْمَعِهِمْ وَبَعَثُوا إِلَیَّ بِالمَسَائِلِ، فَأُجِیبُ عَنْهَا» (۲)

. وقد بدأ بالفتیا فی مسجد الرسول صلی الله علیه واله، وعمره الشریف نیف وعشرون عاماً.

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۹۷.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۰۰.

ولنعرف دور الإمام الرضا فى هذا الحقل لابد أن نعود قليلًا إلى الوراء، لنعرف أن الحزب العباسى الذى تسلَّط على رقاب المسلمين بعد الفراغ السياسى الذى أحدثه غياب السلطه الأمويه قد وجد نفسه أمام تيارات سياسيه معارضه، تعتمد على الفكر، وتتسلَّح بالنظريات الثقافيه، وفى طليعتها التيار العلوى الذى كان يقود المعارضه السياسيه إلى جنب قياده الساحه الفكريه، والحزب العباسى الذى كان يعيش خواءً نظريًّا قاتلًا لم يجد حيلةً إلَّا البحث عن مصادر خارجيه للثقافه، فشجع حركه الترجمه وتوجَّه إلى الكتب الفلسفيه قبل الكتب العلميه، وبنشاط هذه الحركه حدث فى الأمه اضطراب فكرى وتوتر ثقافى مما أضحى يهدد وحده الأمه.

وكانت عوامل شتى تساهم فى هذا الخطر:

اولًا: انشغال المفكرين بالقضايا السياسيه.

ثانياً: ازدياد الاضطراب السياسى، والحروب الداخليه التى تجر بطبيعتها الأمه إلى المزيد من التوتر الفكرى.

ثالثاً: وجود تيارات غريبه عن الأمه كان هدفها إفساد ثقافه المجتمع ومحاربه الإسلام باسم الإسلام، والتى كانت تغذيها حركات سياسيه متصله بالكفار.

وفى عهد المأمون العباسى بلغ الاضطراب الفكرى قمته مما دفع الإمام الرضا عليه السلام إلى التصدى لها.

وقد ساعده فى ذلك انتقاله إلى حاضره البلاد الإسلاميه، وقبوله لولايه العهد؛ مما جعله فى قلب الصراعات الفكريه.

وهكذا كثرت حواراته مع سائر الملل والمذاهب، مما حدا بعلمائنا الكرام إفراد كتب حول ما رُوى عنه عليه السلام، مثل ما فعل الصدوق رحمه الله

فی کتابه عیون أخبار الرضا.

وحینما نتدبر فی کلمات الإمام الرضا وحججه التی ألقاها علی خصوم الإسلام أو مخالفی المذهب؛ نراها تتسم بمنهجیه علمیه عمیقه. مما یدل علی مستوی الثقافه فی عصره لأن الأئمه- کالأنبیاء علیهم السلام- إنما یُکلمون الناس علی قدر عقولهم، وبمستوی أفکارهم.

کذلک نستوحی من التأمل فی کلماته أنها کانت تصدُّ تشکیکات یبثها الأعداء حول الإسلام وبالذات حول عقلانیه أحکامه، من هنا کثر حدیثه عن علل الشرائع، والحِکَم التی وراء أحکام الدین. کما أن طائفه من کلماته المضیئه تُعالج الشؤون الحیاتیه مثل رسالته الطبیه المعروفه بطب الرضا علیه السلام.

ومما یُمیِّز حیاه الإمام الرضا علیه السلام العلمیه أن کلماته کانت تلقی قبولًا فی کافه الأوساط الإسلامیه، ولعل وروده علی مدینه نیسابور- التی کانت من الحواضر العلمیه فی العالم الإسلامی- أظهر مدی اهتمام علماء الإسلام بأحادیث الإمام علیه السلام. دعنا نستمع إلی هذه القصه الطریفه:

«لَمَّا دَخَلَ إِلَی نَیْسَابُورَ فِی السَّفَرَهِ الَّتِی فَازَ فِیهَا بِفَضِیلَهِ الشَّهَادَهِ، کَانَ فِی مَهْدٍ عَلَی بَغْلَهٍ شَهْبَاءَ عَلَیْهَا مَرْکَبٌ مِنْ فِضَّهٍ خَالِصَهٍ، فَعَرَضَ لَهُ فِی السُّوقِ الْإِمَامَانِ الْحَافِظَانِ لِلْأَحَادِیثِ النَّبَوِیَّهِ أَبُو زُرْعَهَ وَمُحَمَّدُبْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِیُّ رَحِمَهُمَا اللهُ، فَقَالَا: أَیُّهَا السَّیِّدُ ابْنَ السَّادَهِ، أَیُّهَا الْإِمَامُ وَابْنَ الْأَئِمَّهِ، أَیُّهَا السُّلَالَهُ الطَّاهِرَهُ الرَّضِیَّهُ، أَیُّهَا الْخُلَاصَهُ الزَّاکِیَهُ النَّبَوِیَّهُ؛ بِحَقِّ آبَائِکَ الْأَطْهَرِینَ، وَأَسْلَافِکَ الْأَکْرَمِینَ؛ إِلَّا أَرَیْتَنَا وَجْهَکَ الْمُبَارَکَ الْمَیْمُونَ، وَرَوَیْتَ لَنَا حَدِیثاً عَنْ آبَائِکَ عَنْ جَدِّکَ نَذْکُرُکَ بِهِ.

فَاسْتَوْقَفَ الْبَغْلَهَ وَرَفَعَ المَظَلَّهَ وَأَقَرَّ عُيُونَ المُسْلِمِينَ بِطَلْعَتِهِ المُبَارَكَهِ المَيْمُونَهِ، فَكَانَتْ ذُؤَابَتَاهُ كَذُؤَابَتَيْ رَسُولِ الله صلى الله عليه واله، فَقَالَ عليه السلام: حَدَّثَنِي أَبِي مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاظِمُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي جَعْفَرُبْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرُ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ شَهِيدُ أَرْضِ كَرْبَلَاءَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ شَهِيدُ أَرْضِ الْكُوفَهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَخِي وَابْنُ عَمِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه واله، قَالَ: حَدَّثَنِي جَبْرَئِيلُ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُ رَبَّ الْعِزَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ:

«كَلِمَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حِصْنِي فَمَنْ قَالَهَا دَخَلَ حِصْنِي وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي».

ص: ۱۴۹۱۲۵

.ص: ۳۰

الفصل الثَّانی: الإِمَامُ وَعَصْرُهُ

ص: ٣٢

عاش الإمام الرضا علیه السلام عصرین مختلفین، وکان عهد هارون الرشید من أقسی العهود علی آل البیت، حیث قرأنا عما فی سیره الإمام الکاظم علیه السلام کیف ضیّق العباسیون علی شیعه أهل البیت، وکیف آذوا الإمام وهجّروه عن دار أمنه عند قبر جده إلی البصره، ثم إلی بغداد حیث وضعوه إما تحت الإقامه الجبریه، وإما فی قعر السجون المظلمه حتی دسُّوا له السم، فمات شهیداً مظلوماً.

وخلال السنین الأربع الأولی من عهد إمامته تجرَّع الإمام کوالده غصص الألم. وهناک قصتان تعکسان طبیعه هذه الغصص:

١- یروی أبو الصلت الهروی

: «کَانَ الرِّضَا علیه السلام ذَاتَ یَوْم جَالِساً فِی مَنْزِلِهِ إِذْ دَخَلَ عَلَیْهِ رَسُولُ هَارُونَ الرَّشِیدِ، فَقَالَ: أَجِبْ أَمِیرَ الْمُؤْمِنِینَ، فَقَامَ علیه السلام فَقَالَ لِی: «یَا أَبَا الصَّلْتِ! إِنَّهُ لَا یَدْعُونِی فِی هَذَا الْوَقْتِ إِلَّا لِدَاهِیَهٍ، فَوَاللهِ لَا یُمْکِنُهُ أَنْ یَعْمَلَ بِی شَیْئاً أَکْرَهُهُ لِکَلِمَاتٍ وَقَعَتْ إِلَیَّ مِنْ جَدِّی رَسُولِ اللهِ صلی الله علیه واله».

قَالَ فَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّی دَخَلْنَا عَلَی هَارُونَ الرَّشِیدِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَیْهِ الرِّضَا علیه السلام قَرَأَ هَذَا الْحِرْزَ (وذکره)، فَلَمَّا وَقَفَ بَیْنَ یَدَیْهِ نَظَرَ إِلَیْهِ هَارُونُ الرَّشِیدُ وَقَالَ: یَا أَبَا الْحَسَنِ! قَدْ أَمَرْنَا لَکَ بِمِائَهِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَاکْتُبْ حَوَائِجَ أَهْلِکَ. فَلَمَّا وَلَّی عَنْهُ عَلِیُّ بْنُ مُوسَی علیه السلام وَهَارُونُ یَنْظُرُ

إِلَيْهِ فِی قَفَاهُ، قَالَ: «أَرَدْتَ وَأَرَادَ اللهُ وَمَا أَرَادَ اللهُ خَيْرٌ» (۱)

. وقد أشار يحيى البرمکی علی هارون بقتل الإمام الرضا کما أشار غيره بذلک فاستعظم الأمر، وقال:

«مَا تَرَی؟! تُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَهُمْ کُلَّهُم»

. ۲- والقصه الثانيه تلک التی رويناها سابقاً عن دخول الجلودی علی الإمام وسلبه أهله. حتی هلک هارون، وشب الخلاف بين ورثته بدأ الإمام نشاطه بقدر من الحريه النسبيه.

لقد وصّی هارون لثلاثه من أبنائه بولايه العهد وهم: الأمين والمأمون والمؤتمن بالترتيب، ولمعرفته بميول العباسيين إلی الأمين الذی کانت والدته زبيده ترعاه، خشی علی المأمون الذی کان يری فيه کفاءه أکثر لإداره البلاد فمنحه بعض المناصب فی الدوله.

وکان الفُرس- الذين کانوا لا يزالون مُتنفِّذين فی الدوله العباسيه بالرغم من نکبه البرامکه- يميلون نحو المأمون؛ لأن أمه منهم، ولأنه تربَّی فی أحضانهم.

من هنا کانت سُحُب الفتنه تتجمع فی سماء الأمه، وکان هلاک هارون الرشيد فی خراسان فی وقت مبکر وقبل أن يرتب أوضاع البلاد، فعجَّل ذلک فی اشتعال نار الفتنه، کما أن مرافقه المأمون لوالده- التی جاءت، حسب بعض الروايات، بإشاره من فضل بن سهل- ساهمت فيها.

لقد سارع الأمين- وربما بإشاره من بعض قواده العباسيين- فی خلع أخيه ونصب ابنه وليًّا للعهد، وکان من الطبيعی أن يرفض المأمون ذلک مما حدا بالأمين إلی بعث بعض قواده ليأتون به مغلولًا.

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۱۶.

وقد شجَّع المأمون بعض قاده جيشه ولا سيما من هم من الفرس على التمرُّد، ففعل وانتهى الأمر إلى الحرب بين الأخوين التى انتهت بخلع الأمين واستتب الأمر لأخيه.

وكانت هذه الحرب أول حرب بين العباسيين، ومن أسوأ الحروب الداخليه بين المسلمين. مما زعزع الثقه بالنظام السياسى عند الجماهير وشجَّع المعارضه على الثوره، فإذا بأطراف البلاد تنتفض وتخلع الحاكم وتبايع واحداً من العلويين.

وكانت أخطر وأعظم هذه الثورات حركه أبى السرايا فى الكوفه التى قادها السَّرِيُّ بن منصور، وعقدت لواء الزعامه لواحد من أبناء الإمام الحسن المجتبى عليه السلام واسمه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل.

وانتشرت هذه حتى شملت الكوفه والواسط والبصره والحجاز واليمن. ووقعت بينها وبين جيوش بنى العباس معارك طاحنه لم يظفر العباسيون بها إلَّا بالحيله والمكر (١).

وفى مكه المكرمه ثار محمد ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وبُويع بالخلافه ولقب ب- (أمير المؤمنين).

وكانت هناك ثورات أخرى فى بلاد الشام والمغرب وكلها تدل على اضطراب الوضع السياسى، حتى أن الناس لم يبايعوا المأمون إلَّا بعد أن استتب الأمر له وعاد إلى بغداد، وبعد حروب أكلت مئات الألوف من المسلمين.

وكان عصر المأمون يتميز- كما أشرنا سابقاً- بتنامى التيارات الفكريه الغريبه التى كان من شأنها زعزعه النظام الثقافى للأمه، وكانت

١- (١) راجع: التاريخ الإسلامى .. دروس وعبر (للمؤلف)، ص ٢٩٠- ٢٩٦.

نتيجه طبيعيه لحركه الترجمه التى شجّعها العباسيون من دون رؤيه.

كما أن الثقه عند قيادات الجيش الذى يمثل العماد الأصلى للنظام كادت تنهار، حتى قال هرثمه بن حازم (أحد قيادات العسكر) للمأمون:

«يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك، ولن يغشك من صدقك، لا تُجرِّئ القواد على الخلع فيخلعوك، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك» (۱).

ولعلنا نضيف إلى كل ذلک حاله المجون والترف التى اشتهرت بين رجال الدوله وبطانتهم، والتى كان يشجعها النظام لإلهائهم عن الحقائق المره التى يعيشها المسلمون. وإذا كان آل (برمک) بالأمس أبطال هذا الميدان، فإن آل (سهل) خلفوهم فيه، وما يذكره بعض المؤرخين عن زواج الخليفه ب- (بوران) وما رافقه من مظاهر البذخ والترف شاهد على ذلک.

الإمام الرضا يتحدى الفساد:

حينما نتدبر فى سوره هود أو سائر السور القرآنيه التى تقص علينا رساله الأنبياء السابقين عليهم السلام نجد أنهم يتحدون الفساد بكل ألوانه، وبالذات الفساد الذى كان مستشرياً فى قومهم، ويعتبرون كل فساد سياسى أو اجتماعى أو اقتصادى أو فكرى ينتهى إلى الضلاله أو الشرک أو الكفر، وكانوا عليهم السلام يُذكِّرون الناس بالله ويحذِّرونهم عذابه فى الدنيا وعقابه فى الآخره، لأن هذا هو السبيل لإصلاح الإنسان وردعه عن الفساد بكل ألوانه.

۱- (۱) تاريخ المسعودى، ج ۳، ص ۳۸۹.

وسار الأئمه عليهم السلام على طريق الأنبياء، حاربوا كل ألوان الفساد، بالوسيله ذاتها، والإمام الرضا عليه السلام كأجداده قاد المخلصين من أبناء الأمه فى هذا السبيل وتحمل الأذى فى سبيل الله.

لقد رفض الاعتراف بالسلطه الجاهليه التى بناها العباسيون باسم الإسلام، واعتبرها سلطه غاصبه ظالمه فاسده جملةً وتفصيلًا.

وناهض التيارات الفكريه المخالفه لأصول الشريعه، وقاوم الفساد الخلقى فى الأمه وذلك بنشر تعاليم الدين الحنيف.

ولم يكن الإمام وحده فى مواجهه ذلك الفساد العريض، بل كانت صفوه الأمه وخيره العلماء والحكماء والقاده المخلصين، وهم شيعه أهل البيت عليهم السلام، يتبعونه فى ذلك.

وقد قرأنا معاً كيف وبأى أسلوب كان الأئمه يقودون الأمه، ولكن هنا ينبغى أن نتحدث قليلًا عما أثار التساؤل عند المؤرخين، وهى نقطةٌ مضيئةٌ- فى رأينا- تلمع فى حياه الإمام الرضا عليه السلام، ومنعطف أساسى فى حركه الشيعه، وهى قبول الإمام عليه السلام بولايه عهد المأمون.

وقبل كل شى ء نتساءل عن الأسباب التى دفعت الخليفه العباسى للإقدام على هذه الخطوه الجريئه.

المأمون يتقرب للإمام:

والمأمون الذى ولد من أمٍّ فارسيه، وتربَّى فى حجر المؤيدين للبيت العلوى، وعرف الكثير من تاريخ الإسلام وتبحَّر فى علم الكلام، هل كان شيعيًّا فعلًا؟ وهل كان عهده إلى الإمام الرضا عليه السلام بدافع سليم، ثم انقلب عن ذلك ودسَّ السم إلى الإمام لأن الملك- كما قال والده هارون له يوماً- عقيم وأنه لو نازعه فيه لأخذ الذى فيه عيناه؟

أم كـانت خطه دبرهـا الفضـل بن سـهل وغيره من بطـانته ووقع فيهـا من دون التفـات، ثم عـاد عنهـا وقتل الفضل غيله فى الحمام وقضى على الإمام بالسم؟

أم أنها كانت خطته اشترك فيها هو وغيره من القاده، وكانت مجرد لعبه سياسيه؟

كـل ذلـک ممكـن! ولـم أجـد فيمـا اطلعت عليه من التاريـخ مـا يـدل على واحـد من الاحتمالاـت بالتأكيـد، على أنى أميـل إلى الاـعتراف بكـل العوامل التاريخيه، وآخـذها بعين الاعتبار عنـد تفسـير ظاهره معينه، لأن مثل هـذه العوامل تتفاعل مع بعضـها فى حياتنـا وتصـنع من حيث المجموع حياتنـا الحاضـره، فلماذا لا نعتقـد أن الماضـى كالحاضـر تصـنعه كل العوامل المؤثره فى حياه البشر؟

من هنـا أميل إلى الرأى التالى: أن كلًّا من خلفيه المأمون الثقافيه، والظروف السياسـيه، ورأى بطانته، أثَّرت فى الإقـدام على هـذه الخطوه الجريئه، ولولا واحده منها لم يقدم.

وهذا يعنى أن انقلاب المأمون على الإمام الرضا عليه السلام جاء بعد تحول الظروف السياسيه، وأن الرجل لم يكن شيعيًّا بالمعنى الحقيقى للكلمه، وهو اتِّباع أهل البيت عليهم السـلام، والتعبد لله فى طاعتهم، إنما كان متأثراً ببعض الأفكار الشيعيه كتفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على غيره من الخلفاء، والاعتقاد بخيانه معاويه، وبأن القرآن كتاب محدث وما أشبه.

إلَّا أن ذلـک لاـ يجعل الفرد شـيعيًّا فى نظر الأئمه عليهم السـلام، وهو بالتالى كان صاحب سـلطه يبحث عنها أكثر مما يبحث عن المبادئ والقيم.

ولعل والده هارون كان يشير إلى ابنه وإلى خواصّ أهل بيته كما

يشير الطغاه عاده إلى بطانتهم من الاعتراف بحق معارضيهم، وذلك عندما تستيقظ ضمائرهم ولو لفتره محدوده. وهكذا يروى المأمون أنه إنما تشيّع على يد والده.

وقد أسرّ المأمون إلى بعض خواصه بالسبب الذى دعاه إلى هذا الأمر، فعَنِ الرَّيَّانِ بْنِ الصَّلْتِ قَالَ: «أَكْثَرَ النَّاسُ فِی بَيْعَهِ الرِّضَا عليه السلام مِنَ الْقُوَّادِ وَالْعَامَّهِ وَمَنْ لَا يُحِبُّ ذَلِکَ، وَقَالُوا: إِنَّ هَذَا مِنْ تَدْبِيرِ الْفَضْلِبْنِ سَهْلٍ ذِی الرِّئَاسَتَيْنِ، فَبَلَغَ الْمَأْمُونَ ذَلِک فَبَعَثَ إِلَیَّ فِی جَوْفِ اللَّيْلِ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا رَيَّانُ! بَلَغَنِی أَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّ بَيْعَهَ الرِّضَا عليه السلام كَانَتْ مِنْ تَدْبِيرِ الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! يَقُولُونَ هَذَا، قَالَ: وَيْحَکَ يَا رَيَّانُ! أَيَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَجِی ءَ إِلَی خَلِيفَهٍ قَدِ اسْتَقَامَتْ لَهُ الرَّعِيَّهُ وَالْقُوَّادُ وَاسْتَوَتْ لَهُ الْخِلَافَهُ فَيَقُولَ لَهُ: ادْفَعِ الْخِلَافَهَ مِنْ يَدِکَ إِلَی غَيْرِکَ، أَيَجُوزُ هَذَا فِی الْعَقْلِ؟ قُلْتُ لَهُ: لَا وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَجْسُرُ عَلَی هَذَا أَحَدٌ، قَالَ: لَا وَاللهِ مَا كَانَ كَمَا يَقُولُونَ، وَلَكِنْ سَأُخْبِرُکَ بِسَبَبِ ذَلِک.

أَنَّهُ لَمَّا كَتَبَ إِلَیَّ مُحَمَّدٌ أَخِی يَأْمُرُنِی بِالْقُدُوم عَلَيْهِ فَأَبَيْتُ عَلَيْهِ، عَقَدَ لِعَلِیِّ بْنِ عِيسَی بْنِ مَاهَانَ وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَيِّدَنِی بِقَيْدٍ وَيَجْعَلَ الْجَامِعَهَ فِی عُنُقِی، فَوَرَدَ عَلَیَّ بِذَلِکَ الْخَبَرِ وَبَعَثْتُ هَرْثَمَهَ بْنَ أَعْيَنَ إِلَی سِجِسْتَانَ وَكِرْمَانَ وَمَا وَالَاهُمَا، فَأَفْسَدَ عَلَیَّ أَمْرِی وَانْهَزَمَ هَرْثَمَهُ، وَخَرَجَ صَاحِبُ السَّرِيرِ وَغَلَبَ عَلَی كُوَرِ خُرَاسَانَ مِنْ نَاحِيَتِهِ، فَوَرَدَ عَلَیَّ هَذَا كُلُّهُ فِی أُسْبُوع.

فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِکَ عَلَیَّ لَمْ يَكُنْ لِی قُوَّهٌ بِذَلِکَ، وَلَا كَانَ لِی مَالٌ أَتَقَوَّی بِهِ، وَرَأَيْتُ مِنْ قُوَّادِی وَرِجَالِیَ الْفَشَلَ وَالْجُبْنَ أَرَدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِمَلِکِ كَابُلَ، فَقُلْتُ فِی نَفْسِی: مَلِکُ كَابُلَ رجُلٌ كَافِرٌ وَيَبْذُلُ مُحَمَّدٌ لَهُ الْأَمْوَالَ فَيَدْفَعُنِی إِلَی يَدِهِ، فَلَمْ أَجِدْ وَجْهاً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أَتُوبَ إِلَی اللهِ عَزَّ وَجَلَ

مِنْ ذُنُوبِی وَأَسْتَعِینَ بِهِ عَلَی هَذِهِ الْأُمُورِ، وَأَسْتَجِیرَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَمَرْتُ بِهَذَا الْبَیْتِ- وَأَشَارَ إِلَی بَیْتٍ- تُکْنَسُ وَصَبَبْتُ عَلَیَّ المَاءَ، وَلَبِسْتُ ثَوْبَیْنِ أَبْیَضَیْنِ، وَصَلَّیْتُ أَرْبَعَ رَکَعَاتٍ قَرَأْتُ فِیهَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا حَضَرَنِی، وَدَعَوْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتَجَرْتُ بِهِ وَعَاهَدْتُهُ عَهْداً وَثِیقاً بِنِیَّهٍ صَادِقَهٍ، إِنْ أَفْضَی اللهُ بِهَذَا الْأَمْرِ إِلَیَّ وَکَفَانِی عَادِیَتَهُ وَهَذِهِ الْأُمُورَ الْغَلِیظَهَ أَنْ أَضَعَ هَذَا الْأَمْرَ فِی مَوْضِعِهِ الَّذِی وَضَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِیهِ.

ثُمَّ قَوِیَ فِیهِ قَلْبِی، فَبَعَثْتُ طَاهِراً إِلَی عَلِیِّ بْنِ عِیسَی بْنِ مَاهَانَ فَکَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا کَانَ، وَرَدَدْتُ هَرْثَمَهَ إِلَی رَافِعِ بْنِ أَعْیَنَ فَظَفِرَ بِهِ وَقَتَلَهُ، وَبَعَثْتُ إِلَی صَاحِبِ السَّرِیرِ فَهَادَنْتُهُ وَبَذَلْتُ لَهُ شَیْئاً حَتَّی رَجَعَ، فَلَمْ یَزَلْ أَمْرِی یَقْوَی حَتَّی کَانَ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ مَا کَانَ، وَأَفْضَی اللهُ إِلَیَّ بِهَذَا الْأَمْرِ وَاسْتَوَی لِی.

فَلَمَّا وَافَی اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِی بِمَا عَاهَدْتُهُ عَلَیْهِ أَحْبَبْتُ أَنْ أَفِیَ لِلهِ تَعَالَی بِمَا عَاهَدْتُهُ، فَلَمْ أَرَ أَحَداً أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَبِی الْحَسَنِ الرِّضَا علیه السلام فَوَضَعْتُهَا فِیهِ، فَلَمْ یَقْبَلْهَا إِلَّا عَلَی مَا قَدْ عَلِمْتَ فَهَذَا کَانَ سَبَبَهَا» (۱)

. ولعل هذا السبب کان أیضاً من الدواعی المساعده إلَّا أن أبرز العوامل التی دفعته إلی ذلک کانت الظروف السیاسیه التی أشرنا إلیها حیث کانت علاقته بالعباسیین سیئه لقتله أخاه أمیناً، کما أن القیادات العربیه لم تکن راضیه عنه بسبب تفضیله الصارخ للقیادات الفارسیه، أما أنصار البیت العلوی فقد رأوا ووجدوا الفرصه مؤاتیه للانتقام من السلطه العباسیه الغاشمه، وانتفضوا فی کل مصر. فماذا بقی له من فرص الاستمرار فی السلطه؟

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۳۷- ۱۳۸.

ولکن محصله خطط المأمون، والأقدار التی أجرت الریاح فی اتجاهه کانت التالیه:

۱- اکتساب ود أنصار البیت العلوی باستقدام الإمام الرضا علیه السلام لولایه عهده.

۲- تصفیه لکثیر من الثورات بالأعمال العسکریه وبقدر من السماحه والعطاء.

۳- الالتفاف علی العباسیین واکتساب ودّهم والعوده إلی خطهم، بعد تصفیه الفضل بن سهل، وشهاده الإمام الرضا علیه السلام.

وهکذا تسنی للمأمون أن یستمر فی الحکم وأن یحافظ علی العرش العباسی من بعده.

الإمام یستجیب للتحدّی:

لماذا قبل الإمام الرضا علیه السلام ولایه عهد المأمون، وإذا کان مضطراً إلی ذلک فکیف استجاب لتحدیه؟

قبل أن نجیب عن هذا السؤال لابد أن نُلقی نظره إلی واقع الحرکه الرسالیه عندما تولی الرضا مرکز الإمامه من بعد والده الإمام الکاظم علیهما السلام.

فی حدیث شریف: کان من المقدر أن یکون الإمام موسی بن جعفر هو قائم آل محمد صلی الله علیه واله إلَّا أن الشیعه أذاعوا الأمر فبدا لله فتأخر إلی أجل غیر مسمی.

وهذا یعنی أن الحرکه الرسالیه کادت تبلغ یومئذ إلی مستوی التصدی لشؤون الأمه. وبالرغم من أن الإمام الکاظم علیه السلام قضی نحبه فی سجن هارون مسموماً، إلَّا أن الحرکه لم تُصَبْ بأذی کثیر کما نستفید ذلک من حدیث شریف.

وهكذا كانت إمامه الإمام الرضا عليه السلام واحده من فرصتين:

الأولى: القيام بحركه مسلحه قد تنتهى إلى دمار الحركه.

الثانيه: الاستجابه لتحدى المأمون بقبول ولايه العهد للعمل من خلال السلطه دون إعطاء شرعيه لها، كما فعل النبى يوسف حينما طلب من عزيز مصر أن يجعله على خزائن الأرض، ثم قام بما استطاع إليه سبيلًا، من الإصلاح من داخل النظام.

وكما فعل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع الخلفاء الذين سبقوه عندما قبل بالدخول فى الشورى واحداً من سته أعضاء.

وأقل ما فى هذه الفرصه الثانيه أنها تشكل حمايه للحركه الرساليه من التصفيه، والقبول بها حركةً معارضةً رسميةً.

وهكذا نعرف أن الإمام لم يترك قيادته للحركه الرساليه، بل استفاد من مركزه الجديد، كما استفاد الشيعه لدعم مسيره حركتهم الرساليه التى فرضت نفسها على النظام فرضاً.

ولتحقيق هذه الغايات اتبع الإمام عليه السلام النهج التالى:

أولًا: امتنع عن قبول الخلافه التى عرضها عليه المأمون أولًا، ولعل السبب فى رفض الخلافه كان أمرين:

ألف: إن تلك الخلافه كانت ثوباً خاصاً بأمثال المأمون، وإنها لا تليق بحجه الله البالغه، لأن بناءها كان قائماً على أساس فاسد، جيشها ونظامها وقوانينها وكل شى ء فيها، ولو قبل الإمام بها كان عليه أن يهدمها ويبنيها من جديد ولم يكن ذلك أمراً ممكناً فى تلك الظروف.

باء: إن المأمون لم يكن صادقاً فى عرضه، فهو كان يدبر حيله مع حزبه الماكر للإيقاع بالإمام إن قبل، بعد أخذ الشرعيه منه، كما فعل بالنسبه إلى ولايه العهد.

ثانياً: اشترط فى قبوله لولايه العهد ألَّا يتدخل فى شؤون الدوله من قريب أو بعيد، مما أفقدهم القدره على تمشيه الأمور باسم الإمام وكسب الشرعيه له، وأبان للعالمين- ذلك اليوم وللتاريخ إلى الأبد- أنه لا يعترف بشرعيه النظام بأى وجه. وقد حاول المأمون مراراً أن يستدرج الإمام للتدخل فى الشؤون فلم يقبل، والحديث التالى يدل على ذلك:

«إنَّ المَأْمُونَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ الْبَيْعَه لِنَفْسِهِ بِإِمْرَهِ المُؤْمِنِينَ وَلِلرِّضَا عليه السلام بِوِلَايَهِ الْعَهْدِ وَلِلْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ بِالْوِزَارَهِ، أَمَرَ بِثَلَاثَهِ كَرَاسِيَّ فَنُصِبَتْ لَهُمْ، فَلَمَّا قَعَدُوا عَلَيْهَا أَذِنَ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا يُبَايِعُونَ فَكَانُوا يُصَفِّقُونَ بِأَيْمَانِهِمْ عَلَى أَيْمَانِ الثَّلَاثَهِ مِنْ أَعْلَى الْإِبْهَامِ إِلَى الْخِنْصِرِ وَيَخْرُجُونَ، حَتَّى بَايَعَ فِى آخِرِ النَّاسِ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَصَفَّقَ بِيَمِينِهِ مِنَ الْخِنْصِرِ إِلَى أَعْلَى الْإِبْهَامِ، فَتَبَسَّمَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام، ثُمَّ قَالَ:

«كُلُّ مَنْ بَايَعَنَا بَايَعَ بِفَسْخِ الْبَيْعَهِ غَيْرَ هَذَا الْفَتَى فَإِنَّهُ بَايَعَنَا بِعَقْدِهَا».

فَقَالَ المَأْمُونُ: وَمَا فَسْخُ الْبَيْعَهِ مِنْ عَقْدِهَا؟

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: «عَقْدُ الْبَيْعَهِ هُوَ مِنْ أَعْلَى الْخِنْصِرِ إِلَى أَعْلَى الْإِبْهَامِ، وَفَسْخُهَا مِنْ أَعْلَى الْإِبْهَامِ إِلَى أَعْلَى الْخِنْصِرِ».

قَالَ: فَمَاجَ النَّاسُ فِى ذَلِكَ، وَأَمَرَ المَأْمُونُ بِإِعَادَهِ النَّاسِ إِلَى الْبَيْعَهِ عَلَى مَا وَصَفَهُ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام، وَقَالَ النَّاسُ: كَيْفَ يَسْتَحِقُّ الْإِمَامَهَ مَنْ لَا يَعْرِفُ عَقْدَ الْبَيْعَهِ، إِنَّ مَنْ عَلِمَ لَأَوْلَى بِهَا مِمَّنْ لَا يَعْلَمُ، قَالَ: فَحَمَلَهُ

ذَلِکَ عَلَی مَا فَعَلَهُ مِنْ سَمِّهِ» (۱)

. ثالثاً: منـذ الأیام الأولی لولایته للعهـد انتهز الإمام کل فرصه ممکنه لنشـر بصائر الوحی، وأظهر أنه أحق بالخلافه من غیره، فمثلًا نقرأ فی وثیقه ولایته للعهـد ما یـدل علی أن المأمون إنما عمل بواجبه فی الاحتفاء بأهل بیت الرساله. دعنا نقرأ ونتدبر معاً الوثیقه التالیه:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ الحَمْـدُ للهِ الْفَعَّالِ لِمَـا یَشَـاءُ، لاـ مُعَقِّبَ لِحُکْمِهِ وَلَـا رَادَّ لِقَضَـائِهِ، یَعْلَمُ خـائِنَهَ الْأَعْیُنِ وَمـا تُخْفِی الصُّدُورُ، وَصَلَّی اللهُ عَلَی نَبِیِّهِ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِیِّینَ وَآلِهِ الطَّیِّبِینَ الطَّاهِرِین.

أَقُولُ وَأَنَـا عَلِیُّ بْنُ مُوسَـی بْنِ جَعْفَرٍ: إِنَّ أَمِیرَ المُؤْمِنِینَ عَضَّدَهُ اللهُ بِـالسَّدَادِ وَوَفَّقَهُ لِلرَّشَـادِ، عَرَفَ مِنْ حَقِّنَـا مَـا جَهِلَهُ غَیْرُهُ، فَوَصَـلَ أَرْحَاماً قُطِعَتْ، وَآمَنَ نُفُوساً فَزِعَتْ، بَـلْ أَحْیَاهَا وَقَـدْ تَلِفَتْ، وَأَغْنَاهَا إِذِ افْتَقَرَتْ؛ مُبْتَغِیاً رِضَا رَبِّ الْعَالَمِینَ لَا یُرِیـدُ جَزَاءً مِنْ غَیْرِهِ، وَسَیَجْزِی اللهُ الشَّاکِرِینَ وَلا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ.

وَإِنَّهُ جَعَلَ إِلَیَّ عَهْـدَهُ وَالْإِمْرَهَ الْکُبْرَی إِنْ بَقِیتُ بَعْـدَهُ، فَمَنْ حَلَّ عُقْدَهً أَمَرَ اللهُ بِشَدِّهَا وَقَصَمَ عُرْوَهً أَحَبَّ اللهُ إِیثَاقَهَا فَقَدْ أَبَاحَ حَرِیمَهُ وَأَحَلَّ مُحَرَّمَهُ؛ إِذْ کَانَ بِـذَلِکَ زَارِیاً عَلَی الْإِمَامِ مُنْتَهِکاً حُرْمَهَ الْإِسْـلَامِ. بِـذَلِکَ جَرَی السَّالِفُ، فَصَبَرَ مِنْهُ عَلَی الْفَلَتَاتِ، وَلَمْ یُعْتَرَضْ بَعْدَهَا عَلَی الْعَزَمَاتِ، خَوْفاً عَلَی شَتَاتِ الدِّینِ وَاضْطِرَابِ حَبْلِ الْمُسْلِمِینَ، وَلِقُرْبِ أَمْرِ الْجَاهِلِیَّهِ وَرَصَدِ فُرْصَهٍ تُنْتَهَزُ وَبَائِقَهٍ تُبْتَدَرُ.

وَقَدْ جَعَلْتُ لِلهِ عَلَی نَفْسِی- إِنِ اسْتَرْعَانِی أَمْرَ الْمُسْلِمِینَ وَقَلَّدَنِی خِلَافَتَهُ- الْعَمَلَ فِیهِمْ عَامَّهً وَفِی بَنِی الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَاصَّهً

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۴۴.

بطَاعَتِهِ وَطَاعَهِ رَسُولِهِ صـلى الله عليه واله، وَأَلَّا أَسْفِکَ دَماً حَرَاماً، وَلَا أَبِیحَ فَرْجاً وَلَا مَالًا إلَّا مَا سَفَکَتْهُ حُدُودُهُ وَأَبَاحَتْهُ فَرَائِضُهُ، وَأَنْ أَتَخَیَّرَ الْکُفَاهَ جُهْدِی وَطَاقَتِی، وَجَعَلْتُ بِذَلِکَ عَلَی نَفْسِی عَهْداً مُؤَکَّداً یَسْأَلُنِی اللهُ عَنْهُ فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ یَقُولُ:

وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ کَانَ مَسْئُولًا (١).

وَإِنْ أَحْدَثْتُ أَوْ غَیَّرْتُ أَوْ بَدَّلْتُ کُنْتُ لِلْغِیَرِ مُسْتَحِقًّا وَلِلنَّکَالِ مُتَعَرِّضاً، وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سَخَطِهِ، وَإِلَیْهِ أَرْغَبُ فِی التَّوْفِیقِ لِطَاعَتِهِ وَالْحَوْلِ بَیْنِی وَبَیْنَ مَعْصِیَتِهِ فِی عَافِیَهٍ لِی وَلِلْمُسْلِمِین.

وَالجَامِعَهُ وَالجَفْرُ یَدُلَّانِ عَلَی ضِدِّ ذَلِکَ، وَما أَدْرِی ما یُفْعَلُ بِی وَلا بِکُمْ، إنِ الحُکْمُ إلَّا للهِ یَقْضِی بِالحَقِّ وَهُوَ خَیْرُ الْفاصِلِین.

لَکِنِّی امْتَثَلْتُ أَمْرَ أَمِیرِ المُؤْمِنِینَ وَآثَرْتُ رِضَاهُ، وَاللهُ یَعْصِمُنِی وَإِیَّاهُ، وَأَشْهَدْتُ اللهَ عَلَی نَفْسِی بِذَلِکَ وَکَفی بِاللهِ شَهِیداً» (٢)

. وهناک بصائر نستوحیها من کلمات الرضا المضیئه:

أولًا: قوله علیه السلام: «عَرَفَ مِنْ حَقِّنَا مَا جَهِلَهُ غَیْرُهُ ... إلخ». حیث عرّض بهارون والد المأمون، وبالنظام العباسی کله، الذین لم یرعوا حرمه رسول الله صلی الله علیه واله.

ثانیاً: إنه قال: «فَمَنْ حَلَّ عُقْدَهً أَمَرَ اللهُ بِشَدِّهَا ... إلخ»، إشاره إلی خبث السرائر، وحبک المؤامرات ضد الولایه.

ثالثاً: قوله: «بِذَلِکَ جَرَی السَّالِفُ ... إلی آخره»، لعله إشاره إلی سکوت الإمام أمیر المؤمنین عن جهه أو صبر الأئمه علی الأذی خوفاً علی شتات الدین واضطراب حبل المسلمین.

ص: ۴۵

١- (١) سوره الإسراء، الآیه: ٣۴.

٢- (٢) بحار الأنوار، ج ۴٩، ص ١۵٢- ١۵٣.

رابعاً: ثم بيان برنامجه للحكم الذی يخالف ما كان عليه عامه بنی العباس، وبضمنهم المأمون ذاته.

خامساً: وقال أخيراً: «وَالجَامِعَهُ وَالجَفْرُ يَدُلَّانِ عَلَی ضِدِّ ذَلِکَ»، حيث بيّن بذلک أنهم أصحاب علم رسول الله صلی الله عليه واله، وأنهم أحق بالأمر منهم.

وعندما تهيَّأ الناس للبيعه لفت الإمام نظره إلی أن طريقتهم للبيعه خاطئه مما أثار زوبعه فی الناس. دعنا نستمع إلی الحديث التالی الذی جری بين المأمون والإمام عليه السلام:

«يَا أَبَا الْحَسَنِ! انْظُرْ بَعْضَ مَنْ تَثِقُ بِهِ تُوَلِّيهِ هَذِهِ الْبُلْدَانَ الَّتِی قَدْ فَسَدَتْ عَلَيْنَا، فَقُلْتُ لَهُ: تَفِی لِی وَأَفِی لَکَ، فَإِنِّی إِنَّمَا دَخَلْتُ فِيمَا دَخَلْتُ عَلَی أَنْ لَا آمُرَ فِيهِ وَلَا أَنْهَی وَلَا أَعْزِلَ وَلَا أُوَلِّیَ وَلَا أَسِيرَ حَتَّی يُقَدِّمَنِیَ اللهُ قَبْلَکَ، فَوَاللهِ إِنَّ الْخِلَافَهَ لَشَیْ ءٌ مَا حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسِی، وَلَقَدْ كُنْتُ بِالمَدِينَهِ أَتَرَدَّدُ فِی طُرُقِهَا عَلَی دَابَّتِی، وَإِنَّ أَهْلَهَا وَغَيْرَهُمْ يَسْأَلُونِّی الْحَوَائِجَ فَأَقْضِيهَا لَهُمْ، فَيَصِيرُونَ كَالْأَعْمَامِ لِی، وَإِنَّ كُتُبِی لَنَافِذَهٌ فِی الْأَمْصَارِ، وَمَا زِدْتَنِی فِی نِعْمَهٍ هِیَ عَلَیَّ مِنْ رَبِّی، فَقَالَ: أَفِی لَکَ» (۱)

. وكانت من أعظم ما بيّن فضل الإمام، مجالس المحاجّه التی كان يعقدها بين فتره وأخری. ولنستعرض معاً واحداً من هذه المجالس لنری ماذا يدور فيها:

«قَالَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِیُّ: فَبَيْنَا نَحْنُ فِی حَدِيثٍ لَنَا عِنْدَ أَبِی الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا يَاسِرٌ، وَكَانَ يَتَوَلَّی أَمْرَ أَبِی الْحَسَنِ عليه السلام فَقَالَ: يَا سَيِّدِی! إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُقْرِئُکَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: فِدَاکَ

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۴۴.

أَخُوكَ! إِنَّهُ اجْتَمَعَ إِلَيَّ أَصْحَابُ المَقَالَاتِ وَأَهْلُ الْأَدْيَانِ وَالمُتَكَلِّمُونَ مِنْ جَمِيعِ الْمِلَلِ فَرَأْيُكَ فِی الْبُكُورِ عَلَيْنَا إِنْ أَحْبَبْتَ كَلَامَهُمْ، وَإِنْ كَرِهْتَ ذَلِكَ فَلَا تَتَجَشَّمْ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ نَصِيرَ إِلَيْكَ خَفَّ ذَلِكَ عَلَيْنَا، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ علیه السلام: «أَبْلِغْهُ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ: قَدْ عَلِمْتُ مَا أَرَدْتَ وَأَنَا صَائِرٌ إِلَيْكَ بُكْرَةً إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَی» (۱)

. ثم بيَّن الإمام ما يدل علی أن هدف المأمون من تشكيل مثل هذه المجالس، النيل من قدر الإمام حيث يظن أنه قد يتوقف عن محاجه خصومه ولكن الإمام قال للنوفلی (الراوی):

«يَا نَوْفَلِيُّ! أَتُحِبُّ أَنْ تَعْلَمَ مَتَی يَنْدَمُ المَأْمُونُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: إِذَا سَمِعَ احْتِجَاجِي عَلَی أَهْلِ التَّوْرَاهِ بِتَوْرَاتِهِمْ، وَعَلَی أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ، وَعَلَی أَهْلِ الزَّبُورِ بِزَبُورِهِمْ، وَعَلَی الصَّابِئِينَ بِعِبْرَانِيَّتِهِمْ، وَعَلَی أَهْلِ الْهَرَابِذَهِ بِفَارِسِيَّتِهِمْ، وَعَلَی أَهْلِ الرُّومِ بِرُومِيَّتِهِمْ، وَعَلَی أَصْحَابِ المَقَالَاتِ بِلُغَاتِهِمْ، فَإِذَا قَطَعْتُ كُلَّ صِنْفٍ وَدَحَضْتُ حُجَّتَهُ وَتَرَكَ مَقَالَتَهُ وَرَجَعَ إِلَی قَوْلِي عَلِمَ المَأْمُونُ أَنَّ المَوْضِعَ الَّذِی هُوَ بِسَبِيلِهِ لَيْسَ بِمُسْتَحِقٍّ لَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَكُونُ النَّدَامَهُ مِنْهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّهَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» (۲)

. ثم بين الحديث- بعد هذا الكلام- وضع الجلسه وقال: «فَلَمَّا دَخَلَ الرِّضَا علیه السلام قَامَ المَأْمُونُ وَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَجَمِيعُ بَنِی هَاشِمٍ، فَمَا زَالُوا وُقُوفاً وَالرِّضَا علیه السلام جَالِسٌ مَعَ المَأْمُونِ، حَتَّی أَمَرَهُمْ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسُوا، فَلَمْ يَزَلِ المَأْمُونُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ يُحَدِّثُهُ سَاعَهً، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَی الْجَاثَلِيقِ فَقَالَ: يَا جَاثَلِيقُ! هَذَا ابْنُ عَمِّی عَلِيُّ بْنُ مُوسَی بْنِ جَعْفَرٍ، وَهُوَمِنْ وُلْدِ فَاطِمَهَ بِنْتِ نَبِيِّنَا وَابْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِی طَالِبٍ علیه السلام، فَأُحِبُّ أَنْ تُكَلِّمَهُ وَتُحَاجَّهُ

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۷۴.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۷۵.

وَتُنْصِتَفَهُ، فَقَالَ الْجَاثَلِيقُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! كَيْفَ أُحَاجُّ رَجُلًا يَحْتَجُّ عَلَيَّ بِكِتَابٍ أَنَا مُنْكِرُهُ وَنَبِيٍّ لَا أُومِنُ بِهِ؟ فَقَالَ الرِّضَا عليه السلام: يَا نَصْرَانِيُّ فَإِنِ احْتَجَجْتُ عَلَيْكَ بِإِنْجِيلِكَ أَتُقِرُّ بِهِ؟

قَالَ الْجَاثَلِيقُ: وَهَلْ أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ مَا نَطَقَ بِهِ الْإِنْجِيلُ؟، نَعَمْ وَاللهِ أُقِرُّ بِهِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِي.

ثُمَّ قَرَأَ الرِّضَا عليه السلام عَلَيْهِ الْإِنْجِيلَ وَأَثْبَتَ عَلَيْهِ أَنَّ نَبِيَّنَا صلى الله عليه واله مَذْكُورٌ فِيهِ، ثُمَّ أَخْبَرَهُ بِعَدَدِ حَوَارِيِّ عِيسَى عليه السلام وَأَحْوَالِهِمْ، وَاحْتَجَّ بِحُجَجٍ كَثِيرَةٍ أَقَرَّ بِهَا، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ شَعْيَا وَغَيْرَهُ، إِلَى أَنْ قَالَ الْجَاثَلِيقُ: لِيَسْأَلْكَ غَيْرِي فَلَا وَحَقِّ الْمَسِيحِ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ فِي عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَكَ، فَالْتَفَتَ الرِّضَا عليه السلام إِلَى رَأْسِ الْجَالُوتِ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ بِالتَّوْرَاةِ وَالزَّبُورِ وَكِتَابِ شَعْيَا وَحَيْقُوقَ، حَتَّى أُفْحِمَ وَلَمْ يُحِرْ جَوَاباً.

ثُمَّ دَعَا عليه السلام بِالْهِرْبِذِ الْأَكْبَرِ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِ حَتَّى انْقَطَعَ هِرْبِذُ مَكَانَهُ.

فَقَالَ الرِّضَا عليه السلام: يَا قَوْمِ! إِنْ كَانَ فِيكُمْ أَحَدٌ يُخَالِفُ الْإِسْلَامَ وَأَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ فَلْيَسْأَلْ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ؟

فَقَامَ إِلَيْهِ عِمْرَانُ الصَّابِي، وَكَانَ وَاحِداً فِي الْمُتَكَلِّمِينَ فَقَالَ: يَا عَالِمَ النَّاسِ! لَوْلَا أَنَّكَ دَعَوْتَ إِلَى مَسْأَلَتِكَ لَمْ أُقْدِمْ عَلَيْكَ بِالْمَسَائِلِ، فَلَقَدْ دَخَلْتُ الْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ وَالشَّامَ وَالْجَزِيرَةَ وَلَقِيتُ الْمُتَكَلِّمِينَ فَلَمْ أَقَعْ عَلَى أَحَدٍ يُثْبِتُ لِي وَاحِداً لَيْسَ غَيْرُهُ قَائِماً بِوَحْدَانِيَّتِهِ، أَفَتَأْذَنُ أَنْ أَسْأَلَكَ؟

قَالَ الرِّضَا عليه السلام: إِنْ كَانَ فِي الْجَمَاعَةِ عِمْرَانُ الصَّابِي فَأَنْتَ هُوَ، قَالَ: أَنَا هُوَ، قَالَ: سَلْ يَا عِمْرَانُ! وَعَلَيْكَ بِالنَّصَفَةِ وَإِيَّاكَ وَالْخَطَلَ وَالْجَوْرَ، فَقَالَ: وَاللهِ يَا سَيِّدِي مَا أُرِيدُ إِلَّا أَنْ تُثْبِتَ لِي شَيْئاً أَتَعَلَّقُ بِهِ فَلَا

أَجُوزُهُ، قَالَ: سَلْ عَمَّا بَدَا لَکَ.

فَازْدَحَمَ النَّاسُ وَانْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَی بَعْضٍ، فَاحْتَجَّ الرِّضَا علیه السلام عَلَيْهِ وَطَالَ الْكَلَامُ بَيْنَهُمَا إِلَی الزَّوَالِ، فَالْتَفَتَ الرِّضَا علیه السلام إِلَی الْمَأْمُونِ فَقَالَ: الصَّلَاهُ قَدْ حَضَرَتْ، فَقَالَ عِمْرَانُ: يَا سَيِّدِی! لَا تَقْطَعْ عَلَيَّ مَسْأَلَتِی فَقَدْ رَقَّ قَلْبِی، قَالَ الرِّضَا علیه السلام: نُصَلِّی وَنَعُودُ، فَنَهَضَ وَنَهَضَ الْمَأْمُونُ، فَصَلَّی الرِّضَا علیه السلام دَاخِلًا وَصَلَّی النَّاسُ خَارِجاً خَلْفَ مُحَمَّدِبْنِ جَعْفَرٍ، ثُمَّ خَرَجَا فَعَادَ الرِّضَا علیه السلام إِلَی مَجْلِسِهِ وَدَعَا بِعِمْرَانَ فَقَالَ: سَلْ يَا عِمْرَانُ، فَسَأَلَهُ عَنِ الصَّانِعِ تَعَالَی وَصِفَاتِهِ، وَأُجِيبَ إِلَی أَنْ قَالَ: أَفَهِمْتَ يَا عِمْرَانُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا سَيِّدِی قَدْ فَهِمْتُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَی مَا وَصَفْتَ وَوَحَّدْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْهُدَی وَدِينِ الْحَقِّ، ثُمَّ خَرَّ سَاجِداً نَحْوَالْقِبْلَهِ، وَأَسْلَم.

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ: فَلَمَّا نَظَرَ الْمُتَكَلِّمُونَ إِلَی كَلَامِ عِمْرَانَ الصَّابِی، وَكَانَ جَدِلًا لَمْ يَقْطَعْهُ عَنْ حُجَّتِهِ أَحَدٌ قَطُّ؛ لَمْ يَدْنُ مِنَ الرِّضَا علیه السلام أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَمْ يَسْأَلُوهُ عَنْ شَیْ ءٍ، وَأَمْسَيْنَا فَنَهَضَ الْمَأْمُونُ وَالرِّضَا علیه السلام فَدَخَلَا، وَانْصَرَفَ النَّاسُ، وَكُنْتُ مَعَ جَمَاعَهٍ مِنْ أَصْحَابِنَا إِذْ بَعَثَ إِلَيَّ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِی: يَا نَوْفَلِيُّ! أَمَا رَأَيْتَ مَا جَاءَ بِهِ صَدِيقُکَ لَا وَاللهِ مَا ظَنَنْتُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَی خَاضَ فِی شَیْ ءٍ مِنْ هَذَا قَطُّ، وَلَا عَرَفْنَاهُ بِهِ إِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِالْمَدِينَهِ أَوْ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَصْحَابُ الْكَلَامِ، قُلْتُ: قَدْ كَانَ الْحَاجُّ يَأْتُونَهُ فَيَسْأَلُونَهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَلَالِهِمْ وَحَرَامِهِمْ، فَيُجِيبُهُمْ وَرُبَّمَا كَلَّمَ مَنْ يَأْتِيهِ يُحَاجُّه.

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ! إِنِّی أَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْسُدَهُ هَذَا الرَّجُلُ فَيَسُمَّهُ أَوْ يَفْعَلَ بِهِ بَلِيَّهً، فَأَشِرْ عَلَيْهِ بِالْإِمْسَاكِ عَنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، قُلْتُ: إِذاً لَا يَقْبَلُ مِنِّی، وَمَا أَرَادَ الرَّجُلُ إِلَّا امْتِحَانَهُ لِيَعْلَمَ هَلْ عِنْدَهُ

شَیْ ءٌ مِنْ عُلُومِ آبَائِهِ علیه السلام، فَقَالَ لِی: قُلْ لَهُ: إِنَّ عَمَّکَ قَدْ کَرِهَ هَذَا الْبَابَ وَأَحَبَّ أَنْ تُمْسِکَ عَنْ هَذِهِ الْأَشْیَاءِ لِخِصَالٍ شَتَّی.

فَلَمَّا انْقَلَبْتُ إِلَی مَنْزِلِ الرِّضَا علیه السلام أَخْبَرْتُهُ بِمَا کَانَ مِنْ عَمِّهِ مُحَمَّدِبْنِ جَعْفَرٍ فَتَبَسَّمَ، علیه السلام ثُمَّ قَال:

«حَفِظَ اللهُ عَمِّی، مَا أَعْرَفَنِی بِهِ لِمَ کَرِهَ ذَلِکَ، یَا غُلَامُ! صِرْ إِلَی عِمْرَانَ الصَّابِی فَأْتِنِی بِهِ».

فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاکَ! أَنَا أَعْرِفُ مَوْضِعَهُ وَهُوَ عِنْدَ بَعْضِ إِخْوَانِنَا مِنَ الشِّیعَهِ، قَالَ: فَلَا بَأْسَ، قَرِّبُوا إِلَیْهِ دَابَّهً. فَصِرْتُ إِلَی عِمْرَانَ فَأَتَیْتُهُ بِهِ فَرَحَّبَ بِهِ، وَدَعَا بِکِسْوَهٍ فَخَلَعَهَا عَلَیْهِ وَحَمَلَهُ وَدَعَا بِعَشَرَهِ آلَافِ دِرْهَمٍ فَوَصَلَهُ بِهَا.

فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاکَ! حَکَیْتَ فِعْلَ جَدِّکَ أَمِیرِ الْمُؤْمِنِینَ علیه السلام، قَالَ: هَکَذَا یَجِبُ. ثُمَّ دَعَا علیه السلام بِالْعِشَاءِ فَأَجْلَسَنِی عَنْ یَمِینِهِ وَأَجْلَسَ عِمْرَانَ عَنْ یَسَارِهِ، حَتَّی إِذَا فَرَغْنَا قَالَ لِعِمْرَانَ: انْصَرِفْ مُصَاحِباً وَبَکِّرْ عَلَیْنَا نُطْعِمْکَ طَعَامَ المَدِینَهِ، فَکَانَ عِمْرَانُ بَعْدَ ذَلِکَ یَجْتَمِعُ إِلَیْهِ الْمُتَکَلِّمُونَ مِنْ أَصْحَابِ المَقَالَاتِ فَیُبْطِلُ أَمْرَهُمْ، حَتَّی اجْتَنَبُوهُ، وَوَصَلَهُ المَأْمُونُ بِعَشَرَهِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَأَعْطَاهُ الْفَضْلُ مَالًا، وَحَمَلَهُ وَوَلَّاهُ الرِّضَا علیه السلام صَدَقَاتِ بَلْخٍ فَأَصَابَ الرَّغَائِبَ» (۱)

. وقصه استعداد الإمام لصلاه العید التی أرهبت النظام دلیل آخر علی أن الإمام لم یترک فرصه إلَّا واستفاد منها لإعلان دعوته، وبیان أنه الأحق بالخلافه من البیت العباسی.

«لَمَّا حَضَرَ الْعِیدُ بَعَثَ المَأْمُونُ إِلَی الرِّضَا علیه السلام یَسْأَلُهُ أَنْ یَرْکَبَ وَیَحْضُرَ الْعِیدَ وَیَخْطُبَ؛ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُ النَّاسِ وَیَعْرِفُوا فَضْلَهُ وَتَقِرَّ

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۷۵.

قُلُوبُهُمْ عَلَى هَـذِهِ الـدَّوْلَهِ المُبَارَكَهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الرِّضَا علیه السلام وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ مَا کَانَ بَیْنِی وَبَیْنَکَ مِنَ الشُّرُوطِ فِی دُخُولِی فِی هَذَا الْأَمْرِ، فَقَالَ المَأْمُونُ: إِنَّمَا أُرِیدُ بِهَذَا أَنْ یَرْسُخَ فِی قُلُوبِ الْعَامَّهِ وَالْجُنْدِ وَالشَّاکِرِیَّهِ هَذَا الْأَمْرُ؛ فَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ وَیُقِرُّوا بِمَا فَضَّلَکَ اللهُ تَعَالَی بِهِ، فَلَمْ یَزَلْ یُرَادُّهُ الْکَلَامَ فِی ذَلِکَ، فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَیْهِ قَالَ:

یَا أَمِیرَ الْمُؤْمِنِینَ! إِنْ أَعْفَیْتَنِی مِنْ ذَلِکَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَیَّ، وَإِنْ لَمْ تُعْفِنِی خَرَجْتُ کَمَا کَانَ یَخْرُجُ رَسُولُ اللهِ صلی الله علیه واله وَکَمَا خَرَجَ أَمِیرُ الْمُؤْمِنِینَ عَلِیُّ بْنُ أَبِی طَالِبٍ علیه السلام.

قَالَ الْمَأْمُونُ: اخْرُجْ کَمَا تُحِبُّ. وَأَمَرَ المَأْمُونُ الْقُوَّادَ وَالنَّاسَ أَنْ یُبَکِّرُوا إِلَی بَابِ أَبِی الْحَسَنِ علیه السلام، فَقَعَدَ النَّاسُ لِأَبِی الْحَسَنِ علیه السلام فِی الطُّرُقَاتِ وَالسُّطُوحِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْیَانِ، وَاجْتَمَعَ الْقُوَّادُ عَلَی بَابِ الرِّضَا علیه السلام.

فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ الرِّضَا علیه السلام فَاغْتَسَلَ وَتَعَمَّمَ بِعِمَامَهٍ بَیْضَاءَ مِنْ قُطْنٍ وَأَلْقَی طَرَفاً مِنْهَا عَلَی صَدْرِهِ وَطَرَفاً بَیْنَ کَتِفَیْهِ وَتَشَمَّرَ، ثُمَّ قَالَ لِجَمِیعِ مَوَالِیهِ: افْعَلُوا مِثْلَ مَا فَعَلْتُ، ثُمَّ أَخَذَ بِیَدِهِ عُکَّازَهً وَخَرَجَ وَنَحْنُ بَیْنَ یَدَیْهِ وَهُوَ حَافٍ قَدْ شَمَّرَ سَرَاوِیلَهُ إِلَی نِصْفِ السَّاقِ وَعَلَیْهِ ثِیَابٌ مُشَمَّرَهٌ.

فَلَمَّا قَامَ وَمَشَیْنَا بَیْنَ یَدَیْهِ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَی السَّمَاءِ، وَکَبَّرَ أَرْبَعَ تَکْبِیرَاتٍ، فَخُیِّلَ إِلَیْنَا أَنَّ الْهَوَاءَ وَالْحِیطَانَ تُجَاوِبُهُ، وَالْقُوَّادُ وَالنَّاسُ عَلَی الْبَابِ قَدْ تَزَیَّنُوا وَلَبِسُوا السِّلَاحَ وَتَهَیَّئُوا بِأَحْسَنِ هَیْئَهٍ، فَلَمَّا طَلَعْنَا عَلَیْهِمْ بِهَذِهِ الصُّورَهِ حُفَاهً قَدْ تَشَمَّرْنَا وَطَلَعَ الرِّضَا وَقَفَ وَقْفَهً عَلَی الْبَابِ وَقَالَ:

«اللهُ أَکْبَرُ، اللهُ أَکْبَرُ، اللهُ أَکْبَرُ عَلَی مَا هَدَانَا، اللهُ أَکْبَرُ عَلَی مَا رَزَقَنَا مِنْ بَهِیمَهِ الْأَنْعَامِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَی مَا أَبْلَانَا»، وَرَفَعَ بِذَلِکَ صَوْتَهُ وَرَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا.

فَتَزَعْزَعَتْ مَرْوُ مِنَ الْبُكَاءِ وَالصِّيَاحِ، فَقَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَسَقَطَ الْقُوَّادُ عَنْ دَوَابِّهِمْ وَرَمَوْا بِخِفَافِهِمْ لَمَّا نَظَرُوا إِلَى أَبِی الْحَسَنِ علیه السلام، وَصَارَتْ مَرْوُ ضَجَّةً وَاحِدَةً، وَلَمْ يَتَمَالَكِ النَّاسُ مِنَ الْبُكَاءِ وَالضَّجَّهِ.

فَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ علیه السلام يَمْشِی وَيَقِفُ فِی كُلِّ عَشَرَهِ خُطُوَاتٍ وَقْفَةً يُكَبِّرُ اللهَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَيُتَخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْحِيطَانَ تُجَاوِبُهُ. وَبَلَغَ الْمَأْمُونَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ ذُو الرِّئَاسَتَيْنِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنْ بَلَغَ الرِّضَا الْمُصَلَّى عَلَى هَذَا السَّبِيلِ افْتَتَنَ بِهِ النَّاسُ، فَالرَّأْیُ أَنْ تَسْأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ فَسَأَلَهُ الرُّجُوعَ، فَدَعَا أَبُو الْحَسَنِ علیه السلام بِخُفِّهِ فَلَبِسَهُ وَرَجَع» (۱)

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۴۳- ۱۳۵.

الفصل الثَّالث: شَهَادَتُهُ وَمَزَارُهُ

ص: ۵۴

وأخيراً دسّ إليه السم فمضى شهيداً شأن سائر أئمه الهدى الذين جاء عنهم الحديث الشريف:

«مَا مِنَّا إِلَّا مَسْمُومٌ أَوْ مَقْتُول» (۱)

. ولكن من الذى فعل ذلك؟

يرى طائفه كبيره من العلماء أن المأمون كان وراء ذلك، فى حين يستبعد ذلك بعضهم ويتساءل عما إذا كان المأمون بهذا المستوى من الدناءه أن يلوث يده بهذه الجريمه النكراء؟

وقد رأيت بعضهم قد ساق عشره أدله على براءه المأمون من دم سيدنا الإمام الرضا عليه السلام ولكنها عند التمحيص تنتهى إلى دليل واحد هو استبعاد وقوع تلك الجريمه من شخص نصب نفسه للدفاع عن أفكار المذهب الشيعى، وتبنى أفضليه الإمام عليه السلام.

ولكن إذا عرفنا أن المأمون العباسى كان واحداً من الخلفاء العباسيين الذين تميَّز نظامهم بالغدر بأنصارهم، أو بالذين يخشون تابعيهم، ابتداء من أبى مسلم الخراسانى وإلى برمك، وانتهاءً بفضلبن سهل. وإن المأمون كان متسنماً قمه هرم ذلك النظام الذى قد بُنيت مؤسساته على أساس البغى والمكر والغيله، فما الذى يمنعه عن اتباع

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۲۷، ص ۲۱۷. وَ ج ۴۴، ص ۱۳۸.

سيره أسلافه، وممارسه جرائم اجداده؟

على أن عقائده فى خلق القرآن أو تفضيل الإمام على على سائر الصحابه أو ما أشبه لم تجعله من شيعه على وآل على عليهم السلام، لأن استمراره فى حكم المسلمين بذاته أكبر جريمه، وأعظم ذنب، وأعتى طغيان فى منطق على وشيعه على. إذ إنه نوع من ادِّعاء الربوبيه ومنازعه الله فى الألوهيه!

ثم إن سيرته- مع الناس من القتل والتنكيل ونشر الفساد بمختلف ألوانه- تتنافى وأبسط مبادئ التشيع لآل البيت عليهم السلام. فما الذى يمنعه إذاً من ارتكاب جريمه القتل بحق آل بيت الرساله؟.

وإننا لنقرأ فى صفحات التاريخ ما يهدينا إلى أن شخص المأمون قد أشرف على عمليه اغتيال الإمام عليه السلام عبر جهازه السرى، الذى يُشابه فى أيامنا مخابرات قصر الإماره أو الرئاسه فى الدوله الأشد ديكتاتوريةً فى العالم.

وقد جاءت هذه الخطوه بعد أن قُمعت أو هدأت ثورات العلويين فى أطراف الأرض، وانتهت فلسفه استدعاء الإمام عليه السلام إلى خراسان. وبعد أن بدأت تتجمع الغيوم فوق بغداد، وظهرت ارهاصات ثوره العباسيين، وأزمع المأمون على العوده إلى بغداد لاسترضاء بنى عمه، والعوده إلى سيره أجداده من لبس السواد وتوزيع المناصب على ذوى قرباه.

ولعل الحديث التالى يوضح هذه الحاله التى تَنَبَّه لها الإمام الرضا عليه السلام ونَبَّه إليها المأمون ربما ليعرف هذا الأخير أن الإمام واقف على نواياه، وأنه إنما يسايره حسب المصلحه العامه.

قال الإمام الرضا للمأمون يوماً فی حدیث مفصل:

«فَاتَّقِ اللَه- یَا أَمِیرَ الْمُؤْمِنِینَ- فِی أُمُورِ الْمُسْلِمِینَ وَارْجِعْ إِلَی بَیْتِ النُّبُوَّهِ وَمَعْدِنِ المُهَاجِرِینَ وَالْأَنْصَار.

ثم قال: أَرَی أَنْ تَخْرُجَ مِنْ هَـذِهِ الْبِلَادِ وَتَتَحَوَّلَ إِلَی مَوْضِعِ آبَائِکَ وَأَجْـدَادِکَ، وَتَنْظُرَ فِی أُمُورِ الْمُسْـلِمِینَ وَلَا تَکِلَهُمْ إِلَی غَیْرِکَ؛ فَإِنَّ اللَه عَزَّ وَجَلَّ سَائِلُکَ عَمَّا وَلَّاک» (۱)

. ثم إن الفضل بن سهل تنبه إلی ذلک أیضاً فتراه یمتنع عن الرحیل مع المأمون، ویعتذر فی ذلک إلیه بالقول:

«إِنَّ ذَنْبِی عَظِیمٌ عِنْـدَ أَهْـلِ بَیْتِـکَ وَعِنْـدَ الْعَـامَّهِ وَالنَّاسُ یَلُومُونَنِی بِقَتْـلِ أَخِیکَ المَخْلُوعِ وَبَیْعَهِ الرِّضَا علیه السـلام، وَلَا آمَنُ السُّعَاهَ وَالْحُسَّادَ وَأَهْلَ الْبَغْیِ أَنْ یَسْعَوْا بِی، فَدَعْنِی أَخْلُفُکَ بِخُرَاسَان» (۲)

. ولکن المأمون یصدّ علیه بذلک وقد دبَّر له أمراً. إنه لا یرید اغتیاله فی معقل قوته وبین أنصاره وأعوانه بل فی الطریق.

وفعلًا- تقول الروایه- فلما کان بعد ذلک (والحوار بین المأمون والفضل)- بأیام ونحن فی بعض المنازل- دخل الفضل الحمام

«فَـدَخَلَ عَلَیْهِ قَوْمٌ بِـالسُّیُوفِ فَقَتَلُوهُ وَأُخِـذَ مَنْ دَخَـلَ عَلَیْهِ فِی الْحَمَّام، وَکَـانُوا ثَلَـاثَهَ نَفَرٍ أَحَـدُهُمْ ابْنُ خَالَهِ الْفَضْلِ ذُو الْقَلَمَیْنِ. قَالَ: وَاجْتَمَعَ الْقُوَّادُ وَالْجُنْدُ وَمَنْ کَانَ مِنْ رِجَالِ ذِی الرِّئَاسَتَیْنِ عَلَی بَابِ المَأْمُونِ، فَقَالُوا: اغْتَالَهُ وَقَتَلَهُ فَلَنَطْلُبَنَّ بِدَمِه» (۳)

. وهکذا تخلَّص المأمون من أبرز مراکز القوی داخل سلطته،

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۶۴.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۶۶.

۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۱۶۸.

ولم يبقَ أمامه إلَّا الإمام الرضا علیه السلام الـذی تم اغتیاله بعد ذلک بأیام قلائل. أوَلَا یدل قرب وفاته علیه السـلام وقتل الفضـل علی وجود مؤامرةٍ قذرةٍ ضده.

هکذا یتأکد لنا ما یذهب إلیه المشـهور من العلماء الشـیعه من أن الإمام استشـهد بسم المأمون حسـبما یری العلَّامه المجلسـی فی قوله: «الأشهر بیننا أنه علیه السلام مضی شهیداً بسم المأمون». ویضیف: «وینسب إلی السید علی بن طاوس أنه أنکر ذلک» (۱).

دعنا نستمع إلی نبأ شهادته من لسان المعاصرین:

ألف: کـان أبو الصـلت الهروی من المعاصـرین للإمـام ومن صـانعی الأحـداث أو المراقبین لهـا عن کثب لصـلته الوثیقه بالإمام، فیسأله أحمدبن علی الأنصاری عن سبب اغتیال المأمون للإمام الرضا علیه السلام، یقول له:

«کَیْفَ طَابَتْ نَفْسُ المَأْمُونِ بِقَتْلِ الرِّضَا علیه السلام مَعَ إِکْرَامِهِ وَمَحَبَّتِهِ لَهُ وَمَا جَعَلَ لَهُ مِنْ وِلَایَهِ الْعَهْدِ بَعْدَهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ المَأْمُونَ إِنَّمَا کَانَ یُکْرِمُهُ وَیُحِبُّهُ لِمَعْرِفَتِهِ بِفَضْـلِهِ، وَجَعَلَ لَهُ وِلَایَهَ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ لِیُرِیَ النَّاسَ أَنَّهُ رَاغِبٌ فِی الدُّنْیَا فَیَسْـقُطَ مَحَلُّهُ مِنْ نُفُوسِهِمْ، فَلَمَّا لَمْ یَظْهَرْ مِنْهُ فِی ذَلِکَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا ازْدَادَ بِهِ فَضْـلًا عِنْدَهُمْ وَمَحَلًّا فِی نُفُوسِهِمْ، جَلَبَ عَلَیْهِ المُتَکَلِّمِینَ مِنَ الْبُلْدَانِ طَمَعاً مِنْ أَنْ یَقْطَعَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فَیَسْقُطَ مَحَلُّهُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَبِسَبَبِهِمْ یَشْتَهِرُ نَقْصُهُ عِنْدَ الْعَامَّهِ.

فَکَـانَ لَـا یُکَلِّمُهُ خَصْمٌ مِنَ الْیَهُودِ وَالنَّصَـارَی وَالمَجُوسِ وَالصَّابِئِینَ وَالْبَرَاهِمَهِ وَالمُلْحِـدِینَ وَالـدَّهْرِیَّهِ وَلَا خَصْم مِنْ فِرَقِ المُسْـلِمِینَ المُخَـالِفِینَ لَهُ إِلَّا قَطَعَهُ وَأَلْزَمَهُ الْحُجَّهَ، وَکَـانَ النَّاسُ یَقُولُونَ: وَاللهِ إِنَّهُ أَوْلَی بِالْخِلَـافَهِ مِنَ المَـأْمُونِ، فَکَـانَ أَصْـحَابُ الْأَخْبَـارِ یَرْفَعُونَ ذَلِکَ إِلَیْهِ فَیَغْتَاظُ مِنْ ذَلِکَ

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۳۱۱.

يَشْتَدُّ حَسَدُهُ، وَكَانَ الرِّضَا عليه السلام لَا يُحَابِی الْمَأْمُونَ مِنْ حَقٍّ وَكَانَ يُجِيبُهُ بِمَا يَكْرَهُ فِی أَكْثَرِ أَحْوَالِهِ، فَيَغِيظُهُ ذَلِکَ وَيَحْقِدُهُ عَلَيْهِ وَلَا يُظْهِرُهُ لَهُ، فَلَمَّا أَعْيَتْهُ الْحِيلَهُ فِی أَمْرِهِ اغْتَالَهُ فَقَتَلَهُ بِالسَّم» (۱)

. باء: وينقل الشيخ المفيد- رضوان الله عليه- مجمل قصه شهادته، مع بعض التفسير لأسباب غيظ المأمون منه، فيقول:

«دَخَلَ الرِّضَا عليه السلام يَوْماً عَلَيْهِ فَرَآهُ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاهِ وَالْغُلَامُ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى يَدَيْهِ فَقَالَ: لَا تُشْرِکْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِعِبَادَهِ رَبِّکَ أَحَداً.

فَصَرَفَ الْمَأْمُونُ الْغُلَامَ وَتَوَلَّى تَمَامَ وُضُوءِ نَفْسِهِ، وَزَادَ ذَلِکَ فِی غَيْظِهِ وَوَجْدِهِ.

َكَانَ عليه السلام يُزْرِی عَلَى الْفَضْلِ وَالْحَسَنِ ابْنَیْ سَهْلٍ عِنْدَ الْمَأْمُونِ إِذَا ذَكَرَهُمَا وَيَصِفُ لَهُ مَسَاوِيَهُمَا وَيَنْهَاهُ عَنِ الْإِصْغَاءِ إِلَى قَوْلِهِمَا، وَعَرَفَا ذَلِکَ مِنْهُ، فَجَعَلَا يُخَطِّئَانِ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَأْمُونِ وَيَذْكُرَانِ لَهُ عِنْدَهُ مَا يُبَعِّدُهُ مِنْهُ وَيُخَوِّفَانِهِ مِنْ حَمْلِ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَالَا كَذَلِکَ حَتَّى قَلَّبَا رَأْيَهُ فِيهِ وَعَمِلَ عَلَى قَتْلِهِ عليه السلام.

فَاتَّفَقَ أَنَّهُ أَكَلَ هُوَ وَالْمَأْمُونُ يَوْماً طَعَاماً فَاعْتَلَّ مِنْهُ الرِّضَا عليه السلام وَأَظْهَرَ الْمَأْمُونُ تَمَارُضاً، فَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَهَ عَنْ مَنْصُورِ بْنِ بِشْرٍ عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بِشْرٍ قَالَ: أَمَرَنِی الْمَأْمُونُ أَنْ أُطَوِّلَ أَظْفَارِی عَلَى الْعَادَهِ وَلَا أُظْهِرَ ذَلِکَ لِأَحَدٍ، فَفَعَلْتُ ثُمَّ اسْتَدْعَانِی فَأَخْرَجَ إِلَیَّ شَيْئاً يُشْبِهُ التَّمْرَ الْهِنْدِیَّ، فَقَالَ لِی: اعْجِنْ هَذَا بِيَدَيْکَ جَمِيعاً فَفَعَلْتُ، ثُمَّ قَامَ وَتَرَكَنِی، وَدَخَلَ عَلَى الرِّضَا عليه السلام وَقَالَ لَهُ مَا خَبَرُکَ؟

قَالَ: أَرْجُو أَنْ أَكُونَ صَالِحاً.

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۹۰.

قَالَ لَهُ: أَنَا الْيَوْمَ بِحَمْدِ اللهِ أَيْضاً صَالِحٌ، فَهَلْ جاءَكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَرَفِّقِينَ فِى هَذَا الْيَوْمِ؟ قَالَ: لَا، فَغَضِبَ الْمَأْمُونُ وَصَاحَ عَلَى غِلْمَانِهِ، ثُمَّ قَالَ: فَخُذْ مَاءَ الرُّمَّانِ السَّاعَهَ فَإِنَّهُ مِمَّا لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ، ثُمَّ دَعَانِى فَقَالَ ائْتِنَا بِرُمَّانٍ فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَقَالَ لِىَ: اعْصِرْ بِيَدَيْكَ، فَفَعَلْتُ وَسَقَاهُ الْمَأْمُونُ الرِّضَا عليه السلام بِيَدِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ وَفَاتِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَوْمَيْنِ حَتَّى مَات عليه السلام.

وَذُكِرَ عَنْ أَبِى الصَّلْتِ الْهَرَوِيِّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الرِّضَا عليه السلام وَقَدْ خَرَجَ الْمَأْمُونُ مِنْ عِنْدِهِ.

فَقَالَ لِى: يَا أَبَا الصَّلْتِ! قَدْ فَعَلُوهَا. وَجَعَلَ يُوَحِّدُ اللهَ وَيُمَجِّدُهُ.

وَرُوِىَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْجَهْمِ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الرِّضَا عليه السلام يُعْجِبُهُ الْعِنَبُ فَأَخَذَ لَهُ مِنْهُ شَيْئاً فَجَعَلَ فِى مَوْضِعِ أَقْمَاعِهِ الْإِبَرَ أَيَّاماً ثُمَّ نَزَعَ وَجِىءَ بِهِ إِلَيْهِ فَأَكَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى عِلَّتِهِ الَّتِى ذَكَرْنَا فَقَتَلَهُ. وَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ لَطِيفِ السُّمُومِ.

وَلَمَّا تُوُفِّىَ الرِّضَا عليه السلام كَتَمَ الْمَأْمُونُ مَوْتَهُ يَوْماً وَلَيْلَةً، ثُمَّ أَنْفَذَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عليه السلام وَجَمَاعَهِ آلِ أَبِى طَالِبٍ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ، فَلَمَّا حَضَرُوهُ نَعَاهُ إِلَيْهِمْ وَبَكَى وَأَظْهَرَ حُزْناً شَدِيداً وَتَوَجَّعَ، وَأَرَاهُمْ إِيَّاهُ صَحِيحَ الْجَسَدِ، وَقَالَ: يَعِزُّ عَلَيَّ - يَا أَخِى - أَنْ أَرَاكَ فِى هَذِهِ الْحَالِ، قَدْ كُنْتُ أُؤَمِّلُ أَنْ أُقَدَّمَ قَبْلَكَ فَأَبَى اللهُ إِلَّا مَا أَرَادَ.

ثُمَّ أَمَرَ بِغُسْلِهِ وَتَكْفِينِهِ وَتَحْنِيطِهِ، وَخَرَجَ مَعَ جَنَازَتِهِ فَحَمَلَهَا حَتَّى أَتَى إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِى هُوَ مَدْفُونٌ فِيهِ الْآنَ فَدَفَنَهُ. وَالْمَوْضِعُ دَارُ حُمَيْدِ بْنِ قَحْطَبَهَ فِى قَرْيَهٍ يُقَالُ لَهَا سَنَابَادُ عَلَى دَعْوَهٍ مِنْ نَوْقَانَ مِنْ أَرْضِ طُوسَ، وَفِيهَا قَبْرُ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَبْرُ أَبِى الْحَسَنِ عليه السلام بَيْنَ يَدَيْهِ فِى قِبْلَتِهِ. وَمَضَى الرِّضَا عليه السلام وَلَمْ يَتْرُكْ وَلَداً نَعْلَمُهُ إِلَّا ابْنَهُ الْإِمَامَ بَعْدَهُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ

عَلِيٍّ عليه السلام، وَكَانَ سِنُّهُ يَوْمَ وَفَاهِ أَبِيهِ سَبْعَ سِنِينَ» (۱).

جيم: ويصف ياسر الخادم اللحظات الأخيره من حياه الإمام الرضا عليه السلام حيث تجلَّت فيها روحه الربانيه وخُلُقُهُ المحمدى فيقول:

«لَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ طُوسَ سَبْعَهُ مَنَازِلَ اعْتَلَّ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام فَدَخَلْنَا طُوسَ، وَقَدِ اشْتَدَّتْ بِهِ الْعِلَّهُ فَبَقِينَا بِطُوسَ أَيَّاماً، فَكَانَ الْمَأْمُونُ يَأْتِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ يَوْمِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ كَانَ ضَعِيفاً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَقَالَ لِي بَعْدَمَا صَلَّى الظُّهْرَ: يَا يَاسِرُ! أَكَلَ النَّاسُ شَيْئاً؟

قُلْتُ: يَا سَيِّدِي! مَنْ يَأْكُلُ هَاهُنَا مَعَ مَا أَنْتَ فِيهِ؟!.

فَانْتَصَبَ عليه السلام ثُمَّ قَالَ: هَاتُوا الْمَائِدَهَ.

وَلَمْ يَدَعْ مِنْ حَشَمِهِ أَحَداً إِلَّا أَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلَى الْمَائِدَهِ يَتَفَقَّدُ وَاحِداً وَاحِداً، فَلَمَّا أَكَلُوا قَالَ: ابْعَثُوا إِلَى النِّسَاءِ بِالطَّعَامِ.

فَحُمِلَ الطَّعَامُ إِلَى النِّسَاءِ، فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الْأَكْلِ أُغْمِيَ عَلَيْهِ وَضَعُفَ فَوَقَعَتِ الصَّيْحَهُ، وَجَاءَتْ جَوَارِي الْمَأْمُونِ وَنِسَاؤُهُ حَافِيَاتٍ حَاسِرَاتٍ، وَوَقَعَتِ الْوَجْبَهُ بِطُوسَ، وَجَاءَ الْمَأْمُونُ حَافِياً وَحَاسِراً يَضْرِبُ عَلَى رَأْسِهِ وَيَقْبِضُ عَلَى لِحْيَتِهِ وَيَتَأَسَّفُ وَيَبْكِي وَتَسِيلُ الدُّمُوعُ عَلَى خَدَّيْهِ، فَوَقَفَ عَلَى الرِّضَا عليه السلام وَقَدْ أَفَاقَ، فَقَالَ: يَا سَيِّدِي! وَاللهِ مَا أَدْرِي أَيُّ الْمُصِيبَتَيْنِ أَعْظَمُ عَلَيَّ: فَقْدِي لَكَ وَفِرَاقِي إِيَّاكَ أَوْ تُهَمَهُ النَّاسِ لِي أَنِّي اغْتَلْتُكَ وَقَتَلْتُكَ؟ قَالَ: فَرَفَعَ طَرْفَهُ إِلَيْهِ ثُمَّ قَال:

«أَحْسِنْ- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ- مُعَاشَرَهَ أَبِي جَعْفَرٍ، فَإِنَّ عُمُرَكَ وَعُمُرَهُ هَكَذَا، وَجَمَعَ بَيْنَ سَبَّابَتَيْهِ» (۲)

ص: ۶۱

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۳۰۸.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۹۹.

كما أنه يصف الحوادث التي وقعت بعد وفاته مباشرةً، فيقول:

«فَلَمّا كَانَ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ قَضَى عَلَيْهِ بَعْدَمَا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ بَعْضُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ وَقَالُوا: هَذَا قَتَلَهُ وَاغْتَالَهُ يَعْنِي الْمَأْمُونَ، وَقَالُوا: قَتَلَ ابْنَ رَسُولِ اللهِ، وَأَكْثَرُوا الْقَوْلَ وَالْجَلَبَةَ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام اسْتَأْمَنَ إِلَى الْمَأْمُونِ وَجَاءَ إِلَى خُرَاسَانَ، وَكَانَ عَمَّ أَبِي الْحَسَنِ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ! اخْرُجْ إِلَى النَّاسِ وَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ لَا يَخْرُجُ الْيَوْمَ، وَكَرِهَ أَنْ يُخْرِجَهُ فَتَقَعَ الْفِتْنَةُ، فَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ إِلَى النَّاسِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! تَفَرَّقُوا فَإِنَّ أَبَا الْحَسَنِ لَا يَخْرُجُ الْيَوْمَ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ، وَغُسِّلَ أَبُو الْحَسَنِ فِي اللَّيْلِ وَدُفِنَ» (۱)

. وبقي ضريح الإمام الرضا عليه السلام مزاراً يؤمه شيعه أهل البيت عليهم السلام ومحبوهم لما أُثر عن النبي صلى الله عليه واله وأهل بيته من الترغيب في ذلك، فقد روي عن النبي صلى الله عليه واله أنه قال:

«سَتُدْفَنُ بَضْعَةٌ مِنِّي بِأَرْضِ خُرَاسَانَ؛ لَا يَزُورُهَا مُؤْمِنٌ إِلَّا أَوْجَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْجَنَّةَ، وَحَرَّمَ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ» (۲).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«يَخْرُجُ وَلَدٌ مِنِ ابْنِي مُوسَى اسْمُهُ اسْمُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) إِلَى أَرْضِ طُوسَ وَهِيَ بِخُرَاسَانَ، يُقْتَلُ فِيهَا بِالسَّمِّ، فَيُدْفَنُ فِيهَا غَرِيباً؛ مَنْ زَارَهُ عَارِفاً بِحَقِّهِ أَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى أَجْرَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ» (۳)

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۹۹.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۸۴.

۳- (۳) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۲۸۶.

وطفق الشعراء يرثونه بما يُفَتِّتُ كبد الحجر ألماً. كما أخذوا بفضح أولئك الغدره الذين اغتالوه بالسم، فقال دعبل ضمن قصيده:

أَرعتم ذئاباً من أميّه وانتحت عليهم دراكاً أزمه وسنون

وعاثت بنو العبّاس فى الدين عيثه تَحَكَّمَ فيه ظالم وظنين

وسموا رشيداً ليس فيهم لرشده وما ذاك مأمون وذاك أمين

فما قبلت بالرشد منهم رعايه ولا لولى بالأمانه دين

رئيسهم غاوٍ وطفلاه بعده لهذا رزايا دون ذاك مجون

ألا أيها القبر الغريب محله بطوس عليك الساريات هتون (١)

وقال أبو فراس الحمدانى يرثى الرضا عليه السلام:

باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته وأبصروا بعضه من رشدهم وعموا

عصابه شقيت من بعدما سعدت ومعشر هلكوا من بعدما سلموا

لا بيعه ردعتهم عن دمائهم ولا يمين ولا قربى ولا رحم (٢)

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۳۱۵، نقلًا عن مقاتل الطالبيين، ص ۳۷۲- ۳۷۳.

۲- (۲) بحار الأنوار، ج ۴۹، ص ۳۱۴.

هـل یکفی الانتماء الاسـمی إلی الإمام الرضا علیه السـلام من دون معرفته، والاسـتضاءه بنور علمه ومعارفه؟ وکیف یرجو شـفاعه النبی صلی الله علیه واله وأهل بیته علیهم السلام یوم الجزاء مَنْ لم یتبع سننهم، ویهتدی بنورهم؟

إن علینا أن نبحث عن وصایاهم التی خلفوها لنا کنوزاً لا تنفد، وتلاداً نعم لا تُضاهی.

والإمـام الرضـا علیه السـلام خلّف میراثـاً عظیماً من المعارف والعلوم، خصوصاً فی ا لحکمه الإلهیه، وبیان فلسـفه الأحکام، والرد علی المذاهب الباطله.

ونحن فی خاتمه کتابنا الذی تشرّف باسمه نُثبت وصایاه الرشیده وأشعاره الحکیمه، لعلَّنا ننتفع بها:

قال علی بن شعیب:

«دَخَلْتُ عَلَی أَبِی الْحَسَنِ الرِّضَـا علیه السـلام فَقَـالَ لِی: یَـا عَلِیُّ! مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ مَعَاشـاً؟ قُلْتُ: یَا سَـیِّدِی أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّی، فَقَالَ علیه السـلام: یَا عَلِیُّ! مَنْ حَسَّنَ مَعَاشَ غَیْرِهِ فِی مَعَاشِهِ. یَا عَلِیُّ! مَنْ أَسْوَأُ النَّاسِ مَعَاشاً؟ قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ، قَالَ: مَنْ لَمْ یُعِشْ غَیْرَهُ فِی مَعَاشِهِ. یَا عَلِیُّ! أَحْسِنُوا جِوَارَ النِّعَمِ فَإِنَّهَا وَحْشِیَّهٌ مَا نَأَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَیْهِم. یَا عَلِیُّ! إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ

مَنَع رِفْدَهُ وَأَكَلَ وَحْـدَهُ وَجَلَدَ عَبْدَهُ، أَحْسِنِ الظَّنَّ بِاللهِ فَإِنَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ بِاللهِ كَانَ اللهُ عِنْدَ ظَنِّهِ، وَمَنْ رَضِـىَ بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ قُبِلَ مِنْهُ الْيَسِـيرُ مِنَ الْعَمَلِ، وَمَنْ رَضِـىَ بِالْيَسِـيرِ مِنَ الْحَلَالِ خَفَّتْ مَؤُونَتُهُ، وَنُعِّمَ أَهْلُهُ، وَبَصَّرَهُ اللهُ دَاءَ الدُّنْيَا وَدَوَاءَهَا، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا سَالِماً إِلَى دَارِ السَّلَام. لَيْسَ لِبَخِيلٍ رَاحَةٌ وَلَا لِحَسُودٍ، لَذَّةٌ وَلَا لِمَلُولٍ وَفَاءٌ، وَلَا لِكَذُوبٍ مُرُوَّه» (١)

. وقـال عليه السـلام: «إِنَّ أَوْحَشَ مَـا يَكُونُ هَـذَا الْخَلقُ فِى ثَلَـاثَهِ مَوَاطِنَ: يَوْمَ يُولَـدُ وَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ فَيَرَى الـدُّنْيَا، وَيَوْمَ يَمُوتُ فَيُعَـايِنُ الْـآخِرَهَ وَأَهْلَهَـا، وَيَوْمَ يُبْعَثُ فَيَرَى أَحْكَاماً لَمْ يَرَهَا فِى دَارِ الـدُّنْيَا. وَقَدْ سَـلَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى يَحْيَى عليه السـلام فِى هَـذِهِ الثَّلَاثَهِ المَوَاطِنِ وَآمَنَ رَوْعَتَهُ؛ فَقَالَ فى يحيى:

وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً (٢)، وفى عيسى: وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً (٣)».

«لَا يَتِمُّ عَقْلُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ حَتَّى تَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَال:

الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، يَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْخَيْرِ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْخَيْرِ مِنْ نَفْسِهِ، لَا يَسْأَمُ مِنْ طَلَبِ الْحَوَائِجِ إِلَيْهِ، وَلَا يَمَلُّ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ طُولَ دَهْرِهِ، الْفَقْرُ فِى اللهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى، وَالذُّلُّ فِى اللهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ فِى عَدُوِّهِ، وَالْخُمُولُ أَشْهَى إِلَيْهِ مِنَ الشُّهْرَهِ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: الْعَاشِرَهُ وَمَا الْعَاشِرَهُ؟

قِيلَ لَهُ: مَا هِيَ؟

قَالَ عليه السلام: لَا يَرَى أَحَداً إِلَّا قَالَ: هُوَخَيْرٌ مِنِّى وَأَتْقَى؛ إِنَّمَا

١- (١) فى رحاب أئمه أهل البيت، ص ١۴٨.

٢- (٢) سوره مريم، الآيه: ١۵

٣- (٣) سوره مريم، الآيه: ٣٣.

النَّاسُ رَجُلَانِ: رَجُلٌ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَتْقَى وَرَجُلٌ شَرٌّ مِنْهُ وَأَدْنَى، فَإِذَا لَقِيَ الَّذِى شَرٌّ مِنْهُ وَأَدْنَى قَالَ: لَعَلَّ خَيْرَ هَذَا بَاطِنٌ وَهُوَخَيْرٌ لَهُ وَخَيْرِى ظَاهِرٌ وَهُوَشَرٌّ لِى، وَإِذَا رَأَى الَّذِى هُوَخَيْرٌ مِنْهُ وَأَتْقَى تَوَاضَعَ لَهُ لِيَلْحَقَ بِهِ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ عَلَا مَجْدُهُ، وَطَابَ خَيْرُهُ، وَحَسُنَ ذِكْرُهُ، وَسَادَ أَهْلَ زَمَانِه» (۱)

. وكان ينشد أشعاراً يقول فيها (ولعلها من إنشائه):

إِذَا كَانَ دُونِى مَنْ بُلِيتُ بِجَهْلِهِ أَبَيْتُ لِنَفْسِى أَنْ تُقَابِلَ بِالْجَهْلِ

وَإِنْ كَانَ مِثْلِى فِى مَحَلِّى مِنَ النُّهَى أَخَذْتُ بِحِلْمِى كَىْ أَجِلَّ عَنِ الْمِثْلِ

وَإِنْ كُنْتُ أَدْنَى مِنْهُ فِى الْفَضْلِ وَالْحِجَى عَرَفْتُ لَهُ حَقَّ التَّقَدُّمِ وَالْفَضْل (۲)

وقال:

إِنَّكَ فِى دَارٍ لَهَا مُدَّه***يُقْبَلُ فِيهَا عَمَلُ الْعَامِلِ

أَلَا تَرَى المَوْتَ مُحِيطاً بِهَا *** يَكْذِبُ فِيهَا أَمَلُ الْآمِلِ

تُعَجِّلُ الذَّنْبَ لِمَا تَشْتَهِى *** وَتَأْمُلُ التَّوْبَهَ فِى قَابِلِ

وَالمَوْتُ يَأْتِى أَهْلَهُ بَغْتَهً *** مَا ذَاكَ فِعْلَ الْحَازِمِ الْعَاقِل (۳)

وإلى هنا نختم حديثنا المختصر عن حياه سيدنا الإمام الرضا عليه السلام نسأل الله أن ينفعنا به يوم القيامه ويجعل ذلك وسيلهً لاتباعنا له فى الدنيا وشفاعته عند الله فى الآخره.

۱- (۱) فی رحاب أئمه أهل البیت، ص ۱۴۷.

۲- (۲) فی رحاب أئمه أهل البیت، ص ۱۵۰.

۳- (۳) فی رحاب أئمه أهل البیت، ص ۱۵۰.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فی الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فی العلوم الإسلامية وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فی أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فی العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهی منظمة فی برامج إلكترونية وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوی تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبیّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فی المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فی الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فی ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛
١.JAVA
٢.ANDROID
٣.EPUB
٤.CHM
٥.PDF
٦.HTML
٧.CHM
٨.GHB
إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
١.ANDROID
٢.IOS
٣.WINDOWS PHONE
۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.